الجهود التربوية للطريقة المحمدية الشاذلية

(دراسة تحليلية)

إعداد

أ. د/ زينب حسن حسن
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

أ. د/ صلاح السيد عبده رمضان
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة بنها

خالد عبد الله القرشي أحمد

الجهود التربوية للطريقة المحمدية الشاذلية

(دراسة تحليلية)

إعداد

أ. د/ زينب حسن حسن
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة عين شمس

أ. د/ صلاح السيد عبده رمضان
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة بنها

خالد عبد الله القرشي أحمد

مقدمة:

يمتلئ التاريخ الثقافي والفكري للشعوب بالعديد من التجارب الغنية، التي أثرت في المجتمع عبر مراحل التاريخ، وما يزال أثرها قائماً، وتصبح مهمة البحث العلمي –في هذا الإطار– محاولة الكشف عن جوانب هذا التأثير، لأن ذلك يُسهم بصورة كبيرة في إظهار جوانب التكوين الثقافي لأي شعب من الشعوب، وإظهار مدى التبادل الثقافي بين الشعوب المختلفة.

مجال التربية يبدو الاهتمام بالتكوين الثقافي لأي شعب أمراً ذا أهمية كبرى، لأن التربية هي العامل الأساس في تشكيل فكر هذا الشعب ومستوى ثقافته، وهي المدافع الأول عن ثقافة هذا المجتمع أمام أي عزو ثقافي أو فكري وافد من شرق أو غرب، ومن هنا تصبح مهمة الباحث التربوي عسيرة وصعبة إلى حد كبير، وتصبح هذه المهمة أكثر صعوبة في مجتمعنا الحاضر، الذي يُراد له طمس فكره، ومحو معالم ثقافته بما يسمى بفكر العولمة بكل اتجاهاتها ومجالاتها.

وهنا تبدو أهمية دراسة الخبرات التربوية للتيارات المنتمية لثقافتنا وفكرنا النابع من القيم الدينية السائدة في مجتمعاتنا الشرقية، ذات البعد الديني الغالب عليها، لأن هذه التيارات تمثل –في الغالب– جزءاً أصيلاً من هذا المجتمع.

إن المجتمع المصري يموج بعدد من هذه التيارات الفكرية، التي تأخذ حظها من الذيوع والانتشار بحسب قوتها، أو ضعفها وانطفاء دورها، وبحسب مدى اقتناع الناس بها، أو إعراضهم عنها.

والطرق الصوفية واحدة من هذه التيارات، فهي تنتشر بين قطاع كبير من أفراد الشعب المصري وغيره من الشعوب الإسلامية على مدى فترة تاريخية طويلة، حيث ينخرط في هذه الطرق "عدد من المثقفين، وأنصاف المثقفين، والعوام، وغير الواعين".

وتعتمد هذه الطرق في فكرها على فكرة التصوف، الذي يرى علماء هذه الطرق وأربابها أنه نمط أعلى من التدين الراقي، فالتصوف لديهم "إخلاص لله على الحقيقة وطاعة بلا رياء، وتقرب بلا اشتراط، وهو مجاهدة وصبر على الأذى".

والتصوف لدى هؤلاء تعبير سلوكي عن جوهر الدين الإسلامي، وعن طريقه يرقى الإنسان ويسمو فكره، وعن طريقه "يُتوصل إلى قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يُتوصل بذلك إلى تحلية القلب بذكر الله سبحانه وتعالى، أما تحلية النفس بالصفات الكاملة كالتوبة، والتقوى، والاستقامة، والصدق، والإخلاص، والزهد، والورع، والتوكل، والرضا، والتسليم، والأدب، والمحبة، والذكر، والمراقبة؛ فللصوفية في ذلك الحظ الأوفر من الوراثة النبوية في العلم والعمل".

وتعتبر الطريقة المحمدية الشاذلية واحدة من هذه الطرق الصوفية، ذات الأثر التربوي الفعال في المجتمع المصري، بل في أنحاء متفرقة من العالم كله، وقد بدأ ظهور هذه الطريقة في النصف الأول من القرن العشرين، وقامت بدور كبير في إصلاح التصوف الإسلامي والطرق الصوفية في مصر، كما قامت بدور كبير في تحقيق الدور التربوية للطرق الصوفية؛ حيث سعت جاهدة إلى تفعيل دور الطرق الصوفية في تربية النفس الإنسانية المسلمة وتهذيبها؛ ولذلك تفرعت أدوارها وتشعبت جهودها بصورة واضحة منذ نشأتها حتى الآن، وذلك لأنها تعتمد في نشأتها على قواعد وأسس صوفية راسخة، ولها منهج خاص في السلوك الصوفي.

وعلى هذا الأساس تصبح مهمة هذا البحث الكشف عن نشأة هذه الطريقة، والقواعد والأسس التي تعتمد عليها، وبيان أهدافها، وتحديد خصائصها المميزة لها عن غيرها من الطرق الصوفية الموجودة في المجتمع المصري، ثم الكشف عن الجهود التربوية التي تقوم بها هذه الطريقة في المجتمع المصري.

ومن هنا كانت قضية هذه الدراسة على النحو التالي:

قضية الدراسة:

من خلال حاجة المجتمع المصري إلى تفعيل قيم الإسلام وإعمال كل فكر يقوم بهذا، ومن بينه فكر الطرق الصوفية على علاته، وبالإشارة إلى اهتمام النظام السياسي المصري والنظم السياسية المتفاعلة معه بالطرق الصوفية في العصر الحاضر، وبالإشارة أيضاً إلى كثرة أتباع هذه الطرق، وإلى ما يمكن أن تقوم به هذه الطرق من تأثير في فكر الناس، تأتي هذه الدراسة لتهتم بتحديد ملامح الدور الاجتماعي والتربوي للطرق الصوفية المعاصرة في مصر، مع التركيز على الطريقة المحمدية الشاذلية؛ باعتبارها النموذج الأوضح في هذا الإطار.

وتتضح قضية هذه الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: "ما الجهود التربوية للطريقة المحمدية الشاذلية؟".

ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

1- ما الطريقة المحمدية الشاذلية؟ وكيف نشأت؟

2- ما أهداف الطريقة المحمدية الشاذلية؟ وما قواعدها الفلسفية التي تعتمد عليها؟ وما عهودها؟

3- ما الخصائص المميزة لهذه الطريقة عن غيرها من الطرق الأخرى؟

4- ما الجهود التربوية التي تقوم بها الطريقة المحمدية الشاذلية؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- الكشف عن نشأة الطريقة المحمدية الشاذلية.

2- تحديد أهداف هذه الطريقة وقواعدها الفلسفية وعهودها.

3- تحديد الخصائص المميزة لهذه الطريقة عن غيرها من الطرق الصوفية المعاصرة.

4- الكشف عن الجهود التربوية للطريقة المحمدية الشاذلية.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

1- تعتبر هذه الدراسة محاولة لسد فجوة كبيرة في الدراسات العلمية في هذا المجال، حيث إن الدراسات التي تناولت الفكر الصوفي تناولته في فترات زمنية متقدمة، ولأن هذه الدراسة هي الأولى فيما يعلم الباحث التي تتناول الدور التربوي والاجتماعي للطريقة المحمدية، وللعشيرة المحمدية.

2- يعتبر فكر هذه العشيرة مكوناً من مكونات الثقافة المصرية، وذلك بما لهذه المؤسسة من تاريخ طويل في خدمة التصوف الراشد، يعرفه كثير من الدارسين والمتابعين لحركة التصوف عبر القرون الماضية في مصر وغيرها.

3- تحدد هذه الدراسة كثيراً من الجوانب الاجتماعية والتربوية لفكر الطريقة المحمدية والعشيرة المحمدية في العصر الحاضر، الذي يموج بكثير من التيارات الفكرية والأيديولوجية التي تحاول فرض نفسها على المجتمع المصري في عصره الحاضر.

4- تشارك هذه الدراسة في إحياء بعض الجوانب الروحية في المجتمع المصري؛ لأن حاجة المجتمع المصري إلى هذه الجوانب الروحية المستمدة من الإسلام شديدة، فعصرنا الحاضر تغلب عليه الحياة المادية في كثير من نواحي الحياة، ويفرض هذا على مؤسسة العشيرة المحمدية وغيرها من المؤسسات التابعة للطرق الصوفية يفرض عليها القيام بدورها على الوجه الأكمل.

5- أن هذه الطريقة الصوفية بفكرها تعد واحدة من طرق التأثير التربوية والاجتماعي في المجتمع المصري، ويساعدها على ذلك كثرة أتباعها والمنتسبين إليها.

6- كما أن دراسة فكر هذه الطريقة ودورها التربوي أمر مهم؛ لأن العلاقة فيها بين الشيخ والمريد قائمة على أن أوامر الشيخ ملزمة للمريد، فالشيخ قدوة للمريد، ولا بد من الالتزام بآرائه السديدة، ويبدو هذا مهماً في وقت فسدت فيه مؤسسات التربية والتعليم (معظمها على الأقل) في بلادنا، وذلك لأسباب كثيرة؛ منها غياب القدوة الحسنة في هذه المؤسسات.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهجين البحثيين التاليين:

1- المنهج التاريخي:

سوف يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، وذلك بغرض تتبع نشأة هذه الطريقة، والظروف التي وجدت فيها، ومراحل تطورها"، حيث سيهتم الباحث هنا بتحديد الأصول والجذور التاريخية لظهور الطريقة المحمدية والعشيرة المحمدية ودورها التاريخي في الجانب التربوي.

2- المنهج الوصفي:

لأن طبيعة الدراسة تفرض على الباحث أن يتبنى هذا المنهج؛ حيث إنه "يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد في الواقع".

خطة الدراسة:

سيراً على المنهج المتبع في هذه الدراسة، فإن البحث التربوي هنا سوف يتطور تبعاً للخطوات التالية:

أولاً: التعريف بالطريقة المحمدية الشاذلية ونشأتها.

ثانياً: أهداف هذه الطريقة وقواعدها وعهودها التي تعتمد عليها.

ثالثاً: الخصائص المميزة للطريقة المحمدية الشاذلية عن غيرها.

رابعاً: الجهود التربوية التي تقوم بها هذه الطريقة.

وفيما يلي عرض مفصل لهذه الخطوات:

أولاً: التعريف بالطريقة المحمدية الشاذلية ونشأتها:

الطريقة المحمدية الشاذلية هي "طريقة صوفية سلفية شرعية مستنيرة"، وهي طريقة صوفية رسمية، "معترف بها رسمياً من المجلس الصوفي وحكم مجلس الدولة المصري"، وتعتمد الطريقة المحمدية في أساسها على علم الكتاب الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهي بهذا تقوم بخدمة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والدين والدولة والوطن جميعاً.

وسبيل هذه الطريقة يعتمد على "العلم والعمل في سماحة ورفق وتدرج وأدب واحتياط واستمرار، وعلاقة تامة بالله عز وجل".

ويحدد الشيخ محمد زكي إبراهيم مؤسس هذه الطريقة أساس طريقته بقوله: "أساس طريقتنا العلم بالدين وأحكامه والثقافة المتجددة وتحري العزائم جهد الطاقة، والبدء بإصلاح الباطن وجهاد النفس والشيطان، والإقبال على العبادة والبذل في سبيل الله والدعوة، والحب الصادق لله تعالى ورسوله وآل بيته ومن والاهم، ثم للصوفية الشرعيين، ولا علاقة لنا بأي تصوف يخالف الشريعة".

وإذا كان الشيخ محمد زكي إبراهيم هو المؤسس الرسمي لهذه الطريقة؛ إلا أن بدايتها الفعلية كانت على يد والده الشيخ إبراهيم الخليل، ابن علي الشاذلي، خادم السادة الشاذلية كما لقب نفسه، وكان هو والسائرون على نهجه وطريقه في التصوف ينضوون تحت اسم (الإخوان الشاذلية الشرعيون)، ولم

يكن لهم كيان رسمي، ولم يكوّنوا طريقة صوفية رسمية يُعترف بها من قِبل المشيخة العامة للطرق الصوفية، ولم يندرجوا تحت راية طريقة صوفية أخرى، ويعرفهم الشيخ إبراهيم خليل بقوله: "الإخوان الشرعيون ورثة السلف الصالح، ومرجع عملهم الكتاب والسنة وتقاليدهم الشرعية الموروثة، ولهم فخر اتصال نبسهم الجهادي الروحي بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالسند الصحيح من طريق سيدنا أبي عليان إمامهم الأكبر".

ويُحدد الشيخ إبراهيم خليل هدف هذه الجماعة بقوله: "والإخوان الشرعيون جماعة إصلاح ديني، واجتماعي، وخلقي، وصحي، وأدبي، على أساس كتاب الله، وسنة رسول الله، بغير تشدد ولا تنطع، وبغير تفريط ولا إهمال، فذلك قول الله تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطًا**}، ونحن ندعو إلى الله على بصيرة وعلى خبرة وعلم وبتواضع كامل وأمل لا ينقطع بيأس أو كسل أو أذى".

وإذا كان الشيخ إبراهيم خليل هو من وضع اللبنات الأولى للطريقة المحمدية، محدداً أهم أسسها؛ إلا أن الطريقة لم تأخذ شكلها الرسمي إلا على يد ولده الشيخ محمد زكي إبراهيم؛ فهو الذي بذل جهوداً كبرى حتى أصبحت طريقته طريقة رسمية، تهتم بترسيخ مفاهيم التصوف الإسلامي، اعتماداً على التربية السليمة للأتباع والمريدين، حتى تم إشهارها رسمياً، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "نحن نعتقد أن التصوف الإسلامي النقي كما قدمنا تربية، وعبادة، وأدب، وجهاد، ودعوة، فالرسمي فيه ما رسمه الله، وغير الرسمي ما لم يرسمه الله عز وجل لكن مجاراة للعُرف والقانون والتقليد، ورجاء مضاعفة الخير اعترف المجلس الصوفي الأعلى بالطريقة المحمدية الشاذلية اعترافاً إجماعيا بكل خصائصها، وذلك بجلسته القانونية المنعقدة بإدارة المسجد الحسيني الشريف في غرة ذي الحجة عام ألف وثلثمائة وسبعين هجرية (1370هـ)، موافقاً لليوم الثالث من شهر سبتمبر عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين ميلادية (1951م)، وصدر التقرير الرسمي بذلك، مسجلاً في التاريخ السابق بسجلات مشيخة عموم الطرق الصوفية برقم أحد عشر في صحيفة ثلاثة وأربعين".

وبعد ذلك اعترف مجلس الدولة المصري بالطريقة المحمدية الشاذلية، وذلك في جلسته المنعقدة في يوم الثلاثاء 10 من جمادى الآخرة من عام 1375هـ الموافق لعام 1956م.

ومنذ هذا التاريخ تمارس الطريقة المحمدية الشاذلية دورها الصوفي التربوي الرائد حتى الآن، وقد تزعم ريادتها وشياختها الشيخ محمد زكي إبراهيم منذ إنشائها حتى توفاه الله تعالى في السادس عشر من

جمادى الآخرة من عام 1419هـ الموافق للسابع من أكتوبر من عام 1998م، ثم تولى ريادتها وشياختها من بعده نجله الشيخ محمد عصام الدين محمد زكي إبراهيم حتى الآن.

ومقر هذه الطريقة الأساسي الذي بدأت منه هو مقرها الدائم الواقع في 80 شارع السلطان أحمد قايتباي، حي الدراسة، القاهرة، ولها فروع في معظم محافظات جمهورية مصر العربية، كما أن لها فروعاً في عدد من الدول العربية والإسلامية، وتهتم الطريقة المحمدية الشاذلية بالجانب التربوي؛ حيث "تخدم الجانب التربوي السلوكي العام على مختلف مستويات الثقافة والمعارف الربانية الإسلامية وإحياء التراث الروحي، وأساس اهتمامها الفرد، ومن الأفراد يتكون المجتمع، وتقوم أعمال الطريقة المحمدية على الكتاب والسنة، فهي تمثل التصوف المستنير المنقى من البدع والدجل والشعوذة".

وتُعد الطريقة المحمدية الشاذلية الوجه الآخر للعشيرة المحمدية التي أسسها أيضاً الشيخ محمد زكي إبراهيم، وتم تأسيسها في أول المحرم من عام 1349هـ الموافق لعام 1930م، ولما تم إنشاء وزارة الشئون الاجتماعية، وأخذت تسجل الهيئات العاملة؛ كانت العشيرة المحمدية قد تفاعلت مع الحياة ونُظمت تنظيماً واعياً، واستوعبت قوانينها وخدماتها المطالب الأساسية للنشاط الروحي والثقافي والاجتماعي وما يتصل بذلك كله، فسجلت العشيرة يومئذ تحت رقم 26 في 1944/12/28م، بملف رقم (168/9/2)، ومرت بعد ذلك بمراحل كثيرة، حتى تم اعتمادها على أنها من الهيئات ذات النفع العام بالقرار الجمهوري رقم 75 لسنة 1968م.

والعشيرة المحمدية هيئة دينية روحية اجتماعية ثقافية قديمة، موصولة السند بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهي إذن الوجه الآخر للطريقة المحمدية الشاذلية، فكلاهما يسعى إلى خدمة الجانب التربوي السلوكي العام على مختلف مستويات الثقافة والمعارف الربانية وإحياء التراث الروحي، ولذلك يرى بعض الباحثين "أنه ليس هناك ثمة فرق بين العشيرة المحمدية والطريقة المحمدية من حيث المنهج، فقد جمعت بينهما الفكرة الربانية"، ويؤيد ذلك قول الشيخ محمد زكي إبراهيم في رسالته (طريقتنا): "الطريقة المحمدية والعشيرة المحمدية وحدة لا تتجزأ، فالعشيرة تخدم الجانب الإداري والعملي والمالي، والطريقة تخدم الجانب العملي والسلوك والدعوة على عمومها، فهما شيء واحد"، ويقول أيضاً: "وباسم المحمدية اشتهرت العشيرة والطريقة، وكلاهما وإن اختلفت الصورة هدفهما واحد، منبثق عن البيت المحمدي

المتواضع، الذي احتضن الخدمة الإسلامية الجامعة، على أساس ربانية الكتاب والسنة من قديم العهد بتوفيق الله، ثم بفضل الاتصال العصبي والروحي".

ثانياً: أهداف الطريقة المحمدية الشاذلية، وقواعدها، وعهودها:

تسعى الطريقة المحمدية إلى خدمة الجانب التربوي السلوكي العام على مختلف الثقافة والمعارف الربانية وإحياء التراث الروحي، هذا إلى جانب تفعيل الأنشطة المتعلقة بإصدار المجلات والكتب والمطبوعات الدعوية المختلفة، والإشراف على خطب الجمعة والدروس والندوات والمحاضرات والمواسم الدينية والثقافية، إلى آخر ما يتعلق بالجوانب السلوكية والعملية.

أ) أهداف الطريقة المحمدية الشاذلية:

نستطيع أن نُجمل أهم أهداف الطريقة المحمدية الشاذلية فيما يلي:

1- محاربة كل ما هو دخيل على التصوف الإسلامي:

فالتصوف الحقيقي هو التصوف الرباني الذي "نزل به الوحي السماوي، قال تعالى: {**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**}، والربانية هي ما اصطلحنا على تسميته بالتصوف لسبب أو لآخر، وأساس الربانية في نص الآية هو العلم والمدارسة، ومقتضاها الطبيعي هو التخلق والممارسة، فالتصوف إذن وحي الله الثابت في أعلى مراتبه، ثم هو بالتالي سنة نبيه حية في أعلى درجاتها".

فالطريقة المحمدية تخلو من البدع والمنكرات، بل إنها تحاربها وتدعو إلى تنقية التصوف منها، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "نحمد الله على أنه ليس في طريقتنا هذه سبيل إلى بدعة أو محرم أو منكر، ولا إلى دخيل أو مدسوس أو ملفق، ولا إلى انحراف فكري أو تعبيري أو عملي أو غيره، وربما كان من الخير ضرورة النص على أنه ليس في طريقنا طبل ولا زمر ولا رقص، ولا رايات ولا أشاير ولا دلوق ولا مرقعات ولا طراطير ولا عكاكيز ولا سواري، ولا جمع جموع ولا ركبة خليفة ولا دعاوى بالولاية ولا كشف غيب، ولا تجارة بالكرامات والخوارق، ولا قول بالحلول والاتحاد والوحدة، ولا لغو بمخالفة الشريعة والحقيقة، ولا تفنن بسقوط التكاليف وصور العبادة، ولا تبطل ولا تعطل ولا شعوذة، ولا غير ذلك من العبث والتشغيب الصارف عن خدمة الحق، بل إننا نكافح في كل ذلك بكل ما لدينا من

وسائل شرعية وطاقات"، ويقول في موضع آخر: "ليس من التصوف الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كان، وليس من التصوف تحريف أسماء الله والرقص بها ممطوطة، أو محولة إلى أصوات ساذجة لا معنى لها، ولا قراءة الأوراد بغير فهم ولا إعراب، وليس من التصوف لبس عمائم الريش، ولا حمل سيوف الخشب والصفيح، ولا القذارة، ولا البلادة، ولا البطالة، ولا الجهالة بدين الله، ولا دعاء الولاية والمتاجرة بالكرامات".

فالشيخ يرى: "أن للتصوف دستوراً ثابتاً خالداً، هو كل ما في الكتاب والسنة الصحيحة من توجيه تعبدي أو روحي، ومن تربية أخلاقية ونفسية واجتماعية، فهل لأحد على هذا الدستور اعتراض؟ طبعاً: لا، إذن التقينا، فما وافق الكتاب والسنة فهو التصوف الذي نخدمه، وما خالفهما فهو التمصوف الذي نهدمه".

وهذا يؤكد لنا أن الطريقة المحمدية تحارب كل مظاهر الفساد الدخيلة على التصوف، وكم جهود بذلها شيخ الطريقة ومؤسسها الشيخ محمد زكي إبراهيم في سبيل المحافظة على الجوهر الحقيقي للتصوف الإسلامي؛ منها مثلاً أنه وضع فكرة (مشروع الدستور الصوفي) الذي وضعه ساعياً إلى تحقيق الغاية الدقيقة العميقة للتصوف، "وتطهيره من الدخيل الحسي والمعنوي، وتحويله إلى أداة إصلاحية تشارك مشاركة عملية في البناء والترميم والتقدم والتجديد الذي هو طبيعة الإسلام ومذهب العهد الحاضر"، ووجهت فكرته باعتراض من بعض المنتمين إلى التصوف الإسلامي، ومنها أيضاً أنه بعد تغيير النظام السياسي في مصر عام 1952م طالب بضرورة الإصلاح الصوفي، فتم تشكيل اللجنة الرسمية لإصلاح التصوف، وتنظيم الطرق الصوفية، وهي التي اختارت في تشكيلها الإمام الرائد خبيراً بها، وبدأت اللجنة تؤدي عملها على الوجه الأمثل، وبدأت جهود الشيخ تؤتي ثمارها، وبدأ دور الشيخ داخل اللجنة وخارجها يزداد وينمو بغرض إصلاح التصوف، لكن بعض الحاقدين على الشيخ ادعى أن الشيخ "يسعى ليكون شيخاً للمشايخ، رغم أنه رفض المشيخة رسمياً عندما عرضتها الدولة عليه أثناء عمل اللجنة"، مما أدى بمشيخة الطرق الصوفية إلى عقد "جمعية عمومية من أكثر من ستين شيخاً للطرق القديمة والجديدة، وقرروا فصل الإمام الرائد من الطرق الصوفية؛ لأنه يطالب بأشياء لا يعرفها التصوف الذي توارثوه"، وكان ذلك في عام 1953م، وما ازداد الشيخ بذلك إلا إصراراً وتمسكاً بالحق، ورفع الشيخ قضيته هذه إلى مجلس الدولة كأول قضية تعرض على مجلس الدولة في مجال التصوف، وصدر

الحكم التاريخي في عام 1375هـ 1956م، بتأييد الشيخ محمد زكي إبراهيم وإلغاء قرار عزله من مشيخة الطريقة المحمدية الشاذلية، ومن مشيخة الطرق الصوفية.

2- العمل على إحياء عقيدة الإسلام لدى كل فرد مسلم:

ويتم ذلك بالاهتمام بإحياء هذه العقيدة داخل كل بيت مسلم في المجتمع الإسلامي؛ وذلك بالعودة إلى ربانية الإسلام وآدابه بكل وسيلة مشروعة، فالغاية الكبرى من التصوف لدى شيخ هذه الطريقة "تتمثل في إعادة بناء الإنسان، وربطه بمولاه؛ عن طريق التربية الروحية بما يجعله ممهداً لأداء رسالته التي استخلفه الله على الأرض من أجلها"، ولذلك يجعل الشيخ محمد زكي إبراهيم دعوته "تجمع بين ضروريات المادة، ومطالب الروح، بما يهيئ للمسلم حياة الربانية التي هيأت للسلف الصالح قيادة الدنيا وسيادة الكون علماً، وعقيدة، وعملاً، وتجديداً وابتكاراً، وعمارةً، واستعماراً، وإنتاجاً، ثم ربانية وإلاهية، وعبادة وعبودية وتسامياً روحياً تنفعل له الأكوان حتى يظل المدد موصولاً بين الأرض والسماء"، فإذا تحقق التصوف في قلب كل فرد مسلم، وفي داخل المجتمع المسلم حققنا بذلك حقيقة الإسلام التي هي صواب العقيدة وحسن الخلق.

3- الاهتمام بأمر المسلمين عامة والصوفية خاصة في كل أرض أو وطن:

ويتم ذلك بإقامة الندوات والمؤتمرات بأنواعها ومجالس العبادة لخدمة الدين والتصوف والوطن الإسلامي، فالصوفي الحق هو من يهتم بأمر جميع المسلمين: صوفيين وغير صوفيين، لأن التصوف الإسلامي ليس "نوعاً من الانزواء عن المجتمع أو هروباً من مشاكله، فلم يفهمه رواده الأوائل على هذا النحو، كما أن الصادقين من أتباعهم ساروا على نهجهم في معايشة آلام أبناء مجتمعهم وآمالهم، فلم يألوا جهداً في تقديم يد العون للمجتمع الذي احتضنهم وقدرهم".

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)**، ولذلك يطالب الشيخ محمد زكي إبراهيم كل تابع لطريقته فيقول: "تابع وشارك بكل جهدك في قضايا المسلمين بكل زمان ومكان تاريخاً ماضياً، وواقعاً حاضراً، واجعل ذلك بحق من عادتك وأورادك، فكما نذكر الأندلس الفردوس المفقود وجزر البحر الأبيض الضائعة، فتذكر الجمهوريات التي كان يسيطر عليها الشيوعيون وما تعانيه الآن من الصليبيين، وتذكر القدس التي استولى عليها اليهود، وكشمير التي اغتصبها الهنود وغيرها بالمشارق والمغارب، وإياك أن تنسى ذلك أبداً، هذا هو الأصل الأول في التصوف الصحيح، والإسلام

هو الحب وتجميع المسلمين إن شاء الله، والإسلام وطن، فلا تكن جاهلاً بوطنك، لا تاريخاً ولا واقعاً أو مستقبلاً، واجعل لك في كل قطر إسلامي أخاً في الله، ليكون أساساً للدعوة والصحوة".

ويندرج تحت هذا الجانب أيضاً قيام الصوفي بدوره في خدمة المجتمع، حيث يقرر الشيخ أن الرجل حين يتصوف فإنه "يتطهر ويتحرر ويتحفظ، فيؤدي واجبه على أكمل وجه يُرجى من إنسان، وذلك بدافع ذاتي رفيع، فهو يعتقد أن الإخلاص في أداء الواجب عبادة لله وخدمة للناس وأمانة في عنقه للوطن وللمجتمع؛ فيذهب يعامل الله أرقى المعاملة فيما أقامه فيه من عمل، موظفاً كان أو تاجراً، أو طبيباً أو مهندساً، أو عاملاً أو طالب علم، غير متمرد على مراد الله منه، آخذاً في الأسباب ليترقى إلى ما هو أهدى وأجدى".

4- العمل على سيادة شرع الله:

وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد الإسلام مترامية الأطراف، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم بعد حديثه عن بعض أهداف الطريقة المحمدية: "وقبل هذا وأثناءه وبعده الدعوة العاملة الحكيمة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، لا في الحدود فقط، ولكن في كل مطالب حياة المسلم السوي القويم بالأسلوب السلمي الإيجابي المناسب للواقع من كل الوجوه التي يرضاها الله ورسوله والمسلمون".

والمطالبة بسيادة شرع الله لا يتم بالإكراه أو الإجبار، بل لا بد أن يتم ب "الحكمة والتدرج والمتابعة والمثابرة والإقناع والمسالمة، وإن طال المدى"، فالتصوف لدى هذه الطريقة بعيد عن البدع والمنكرات التي تُرتكب باسم التصوف، بل هو التزام بشرع الله تعالى وانحياز كامل إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعمل بها وتطبيق لها، فالصوفي هو "الذي يتقرب إلى الله بفروض الله، ثم يزيدها بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من جنس ما فرض الله، وأن يكون عنده صفاء في استقبال أقضية العبادة، فيكون صافيا لله".

وفي سبيل سعي الطريقة المحمدية إلى تطبيق شرع الله تعالى عقدت الطريقة المحمدية، ومعها العشيرة المحمدية مؤتمراً "لتطبيق الشريعة الإسلامية بالقاهرة في السبعينيات، وكان مؤتمراً فريداً نادراً، اشترك فيه الأزهر، والأوقاف، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ودار الإفتاء، ولجنة الفتوى بالأزهر، والجمعيات الإسلامية الكبرى، والطرق الشرعية، والشخصيات الإسلامية، وجماهير لا تحصى، وغطته

وسائل الإعلام المختلفة، وتحدث فيه كبار العلماء والشخصيات الإسلامية، ولقد توقف عقد المؤتمر بعد ذلك لظروف سياسية مرت بها البلاد".

5- محو الأمية الدينية والروحية والثقافية والخلقية ما أمكن:

ويتم ذلك بمحاولة ربط العلوم الحديثة النافعة بحقائق الإسلام ومبادئه وعلومه بما ينفع الناس، ويعد هذا الهدف من أهم أهداف الطريقة المحمدية؛ لأنه يتعلق بالدور التربوي للطريقة المحمدية، حيث تقوم هذه الطريقة بخدمة الجانب التربوي السلوكي العام على مختلف مستويات الثقافة والمعارف الربانية الإسلامية وإحياء التراث الروحي، إلى جانب أمانة الدعوة بما تقوم به من أنشطة تتعلق بإصدار المجلات والكتب ومختلف مطبوعات الدعوة وتعهد خطب الجمعة والدروس والندوات والمحاضرات والمواسم الدينية والثقافية، إلى أخر ما يتعلق بالجوانب السلوكية والعملية، ولذلك اجتهدت الطريقة المحمدية ومعها العشيرة أيضاً في القيام بهذا الدور التثقيفي في جميع جوانب الحياة، وقد أجمل الشيخ محمد زكي إبراهيم بعض هذه الجوانب فيما يلي:

- عقد دروس يومية وأسبوعية وشهرية في المساجد التابعة للعشيرة المحمدية، سواء في القاهرة أو في غيرها من محافظات الجمهورية.
- عقد ندوات علمية كبرى ثقافية علمية كبرى بدار العشيرة المحمدية، وذلك في المناسبات والمواسم والاحتفالات الدينية والوطنية الكبرى.
- عقد ندوات دورية خاصة بالسيدات في دار العشيرة المحمدية، وكذلك في دار الإمام الحسين، ومسجد القاضي بركات، ومسجد المشايخ، ومسجد ابن الفارض.
- إقامة حلقات أسبوعية للدراسات القرآنية (تحفيظاً وتجويداً وتفسيراً) بدار العشيرة، ومسجد المشايخ، وبعض مساجد العشيرة.
- إعداد قاعات استذكار لطلاب العلم الوافدين من كل محافظات مصر، بل إعداد أماكن لإقامة المغتربين منهم والوافدين من خارج القاهرة؛ تيسيراً لهم ومساعدة لهم في طلب العلم.

- إقامة مكتبة كبرى تشمل كتباً في معظم مجالات العلوم الإسلامية، وتيسير الاطلاع على ما فيها من فنون ومجالات العلوم الإسلامية، وذلك بدار العشيرة المحمدية ومسجد المشايخ بالقاهرة.
- إصدار مجلة المسلم الناطقة باسم الطريقة المحمدية والعشيرة المحمدية أيضاً، وهي أول مجلة صوفية صدرت بمصر، تخدم مقاصد الدعوة الصوفية الخالصة، في حدود علوم السنة والشريعة، وتقدم التصوف الإسلامي على حقيقته اللازمة للسمو بحياة كل مسلم، وقد استمرت على هذا النهج منذ أكثر من ستين عاماً، حيث صدر أول عدد منها في شهر شعبان 1370هـ مايو 1952م، وهي لا تزال تصدر حتى وقتنا الحاضر.
- إصدار سلسلة من الكتب والرسائل عُرفت ب (مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية) في مختلف القضايا الدينية والثقافية.
- إنشاء معهد الدراسات الصوفية، وهو فكرة جديدة تعتبر امتداداً للأنشطة الصوفية التي قامت بها الطريقة قبل ذلك، ويقوم هذا المعهد بتخريج الدعاة الصوفيين المثقفين والخطباء المخلصين لخدمة التصوف الصحيح.
- عقد لقاءات مع الوفود الإسلامية والشخصيات العاملة في الحقل الإسلامي والصوفي بالعالم من زوار مصر وتكريمهم خدمة للدعوة والوطن.

6- التقريب العلمي والأخوي بين طوائف المسلمين ومذاهبهم:

وذلك من أجل حفظ حقوق السلف الصالح، ولو بخدمة المتفق عليه، والعذر مع النصح في المختلف فيه، بلا تعصب ولا تشنج ولا بذاءة على المسلمين، فالطريقة المحمدية تسعى إلى تجميع الهيئات الإسلامية في اتحاد عام، يحفظ استقلالها وينسق جهودها، ويقرب بينها، ويعمل لصالحها جميعاً وصالح المسلمين والوطن، كما تسعى هذه الطريقة إلى "استمرار محاولة تلطيف حدة الخصومة بين الطوائف الإسلامية والطرق الصوفية ودعوتها إلى التفاهم الودي والتقارب الفكري والعلمي".

على هذا الوجه تنظر الطريقة المحمدية الشاذلية إلى الطوائف الإسلامية المختلفة وإلى الطرق الصوفية الأخرى؛ فالعلاقة بينها وبين هذه الطرق هي علاقات الود والأخوة وحسن الظن، فإن كان

هناك اتفاق فليكن التعاون قائماً حاضراً، وإن كان هناك اختلاف فليكن الاحترام المتبادل بين الطرق كلها.

أما الخلافات الفقهية المذهبية فلا يجب أن تفرق بين طريقة وأخرى، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "لا خصومة أبداً بيننا وبين أي مذهب من مذاهب أهل لا إله إلا الله، سواء كانوا أحنافاً، أو مالكية، أو شافعيين، أو حنابلة، أو زيديين، أو إمامية، أو ظاهرية، أو شيعة، أو إباضية، أو غيرهم، فإن الاختلاف في الفروع ضرورة طبيعية، ويستحيل استحالة مادية جمع الناس على مذهب واحد أو رأي واحد في مسائل ظنية، هي موضع نظر واجتهاد، وستظل كذلك إلى يوم القيامة... فالخلاف على الفروع طبيعة وشريعة ما دام هناك اختلاف في العقول والتحصيل والأهداف والفهوم والبيئات والوراثات وغيرها، وعلى هذا الأساس ننظر إلى مذاهب المسلمين، فنقرب ما بينها ونعتذر عند أنفسنا لأهلها، ونتناصح بالحسنى معهم، ونحاول جهدنا أن نربطها جميعاً برباط لا فتنة فيه، ولا تفرقة ولا ضلال إن شاء الله".

بل إن الشيخ محمد زكي إبراهيم يدعو دعوة صريحة إلى إيجاد حل إسلامي للخلاف الواقع منذ أمد بعيد بين الصوفية والسلفية والخلاف بينهما شاسع كما نعلم، يقول الشيخ "بهذا التأصيل الإسلامي نستطيع أن نلمس الخلاف الموروث بين الصوفية والسلفية، ونحاول أن نجد له حلاً إسلامياً نابعاً من سعة الأفق العلمي، وسماحة الخلق المحمدي، بحيث لا يقوضه سوء الالتزام ولا حمية المذهبية، ولا يعبث به التساهل في التخريج أو الغلو في تكلف الحكم والاستدلال".

بل إن الشيخ يدعو إلى تحديد الأمور التي نتفق عليها في ديننا، فندافع عنها ونحميها، وأما الأمور الخلافية فعلينا أن نتجنبها، وليعذر بعضنا بعضاً فيها، يقول الشيخ: "نحن الآن أمام أمر مقبول في الإسلام جميعاً، فلنتكاتف على خدمته تحت أي اسم كان، وأمام أمر مرفوض في الإسلام جميعاً، فلنتعاون على كفاحه تحت أي اسم كان، ثم أمام أمر مختلف عليه، فلنتفاهم فيه بالحسنى، وليعذر بعضنا بعضاً، فليس منا من يعمل ليدخل النار... فقد وجب أن نلتمس طريقاً سوياً يرتضيه الإسلام، لعلاج هذه الفرقة الأليمة وآثارها بالتقارب والتفاهم العلمي على أصالته ويسره وتورعه"، ويتخذ الشيخ محمد زكي إبراهيم من هذا الطريق الذي يقترحه سبيلاً لمواجهة أعداء الإسلام وخصومه، يقول الشيخ: "ثم

لننقذ هذه الأمة من خلافاتنا على هذه الفروعيات الجانبية، ولندفعها إلى كفاح ما هو أكبر وأخطر، من نحو الشيوعية والوجودية والعلمانية والانحلالية واللادينية المتمثلة في كل مقروء ومسموع ومنظور".

7- إدماج التصوف في الحياة:

لأن من طبيعة التصوف أن يندمج في الحياة اندماجاً كاملاً، بحيث يصبح جزءاً منها، ثم يقوم بالتوجيه والتدريب على القيادة وتوسيع رقعة الدعوة إليه والدفاع عن حرمه بكل ما في الإمكان، وتيسير أسباب تفاعله وانتشاره، وتجميع قادته من المسلمين في كل مكان من العالم، "وعندئذ يمكن الانتفاع به كدعوة إصلاحية روحية، تنتظم الأفراد والجماعات، وكمدرسة ربانية لا بد منها لتخريج الرجال النموذجيين الجامعين بين محاسن الدنيا والدين، والذين بهم يكثر سواد الصالحين فتنصلح الأمور".

إن التصوف في أبهى صوره يرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً، لا ينفصم عنها، وليس كما يظن البعض "أن الصوفية منعزلون عن حياة مجتمعهم، ولا يهمهم سوى النجاة بأنفسهم من أسر الدنيا والاتصال بالله عن طريق إدامة الأذكار وتلاوة الأوراد، وتلك النظرة يجانبها الصواب؛ وذلك لأن الدعوة الصوفية دعوة اجتماعية صريحة، تعمل على إقامة مجتمع سليم متكامل يسوده جو من الحب والرحمة والعفو والإخاء الصادق والإخلاص، وكافة المثل التي تؤهله ليكون من أرقى المجتمعات".

8- الاهتمام بتربية المريدين:

وذلك بتهذيب أخلاقهم، وهذا داخل في مجمل أهداف الطرق الصوفية عامة، فالمريد الصوفي لا يتم تصوفه إلا بوجود شيخ مرب له، يقوم على أمر تربيته، ويحسن ذلك، يسلك به طريق الفوز والنجاة، يقول الإمام عبد الوهاب الشعراني: "العاقل من اتخذ له شيخاً ولم يكتف بما عنده من علم الظاهر؛ لأن الشيخ يصل به إلى محل القرب من حضرة الله تعالى، فيصير يكره المعاصي طبعاً في تلك الحضرة"، ويقول أحمد بن محمد زروق في حديثه عن التقوى: "ولا يتم أمرها إلا بشيخ ناصح، أو أخ صالح، يدل العبد على اللائق به لصلاح حاله"، ويقول أيضاً: "فلزم الاقتداء بشيخ، قد تحقق اتباعه للسنة، وتمكنه من المعرفة، ليرجع إليه فيما يرد أو يراد"، ويؤكد السهروردي هذه الحقيقة بقوله: "أول ما يلزم المريد بعد الانتباه من غفلته أن يقصد إلى شيخ من أهل زمانه، مؤتمن على دينه، معروف بالنصح والأمانة، عارف بالطريق، فيسلم نفسه لخدمته، ويعتقد ترك مخالفته، ويكون الصدق حالته"، وعلى هذا قام أمر التصوف، وعلى هذا وُجدت العلاقة بين التصوف والتربية، هذه العلاقة هي التي جعلت علم التصوف

لا يحقق أهدافه، ولا يؤتي ثماره المنشودة، ولا يقوم بدوره في علاج النفس والقلب وتزكية الروح إلا بانتهاجه أسلوب التربية الصحيح، ولا يتم كل ذلك إلا من خلال التزام المريد بالشيخ المربي.

ولقد اهتمت الطريقة المحمدية بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، حيث اهتمت بالعلاقة بين المريد وشيخه، واعتبرت ذلك أساس الوصول إلى الله تعالى، فلا يمكن لأي إنسان يريد السير في طريق التصوف، لا يمكن له أن يصل إلى مبتغاه من غير شيخ يهديه، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم "لا بد من هاد قدوة، خبير بوسائل الفرار إلى الله والهجرة إليه، ألم تر على موسى كيف طلب المرشد ليتبعه كما جاء في سورة الكهف؟، وكيف كان أدب موسى مع مرشده؟... فما لم يكن للمرء شيخ في العلم لضل وافترسه الشيطان واستهواه".

هذه هي أهم أهداف الطريقة المحمدية التي أسست من أجل تحقيقها، وسعت إلى تطبيقها عملياً في سلوك المريدين التابعين لها، وإن نظرة فاحصة لهذه الأهداف سوف تُظهر لنا الأثر الكبير للتصوف كما تراه هذه الطريقة، فهي ترى التصوف يدفع عجلة الحياة كلها إلى التسامي والتقدم، وتراه أيضاً عملاً للدنيا والدين معاً، وعبادة وتخلقاً بالأخلاق السامية، وهو أيضاً كفاح وإنتاج واهتمام بالظاهر والباطن؛ "لأنه علم وعمل تطبيقي سلوكي رفيع، من فاته نصيبه منه فقد فاته الخير الذي لا يُعوض، ولزومه للشباب وللشيب ضرورة حيوية مادية وروحية معاً، فهو الطريق الوحيد لرد الاعتبار الإنساني المفقود في أسواق المادية على مختلف وجوهها المنكرة".

كما أن هذه النظرة سوف تُظهر لنا أن هذه الطريقة طريقة الخواص من المتصوفين، لأنها تحاول جاهدة تنقية التصوف مما لحق به من مظاهر الفساد التي يُوجد بعضها في بعض الطرق الأخرى، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "طريقتنا هذه للخواص والقادة أساساً، ثم هي لصفوة الجماهير الراشدة، ولطلاب الحقيقة والنور والدار الآخرة، فليست هي للحشد ولا المكاثرة والمفاخرة، ولا الإعلان والمراءاة والدعاوى، فإن من أهدافنا إحياء ربانية الإسلام وحكم القرآن في الفرد والمجتمع، وبعث قوى الروح الإسلامية في كافة مطالب الحياة واتجاهاتها الخاصة والعامة، وليس هذا بالأمر اليسير".

وتُظهر لنا هذه النظرة أيضاً الدور التربوي لهذه الطريقة، فالتربية لدى هذه الطريقة هي الوسيلة الناجحة في إصلاح الفرد والمجتمع معاً، لأنها تهتم بإصلاح الفرد من الداخل، وإذا صلح داخل الإنسان كان ظاهره سليماً، وهذا هو الأساس الأول لإصلاح المجتمع كله، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم:

"طبيعة هذه الدعوة أن تبدأ من الداخل، ومن الباطن، من القلوب؛ لأنها ليست قشرية ولا سطحية، فهي من الأعمال تبدأ، وإلى الأعماق تنتهي، وكان لا بد من السير بها فردية مكية، حتى إذا وُجد أهلوها وزمانها وانقلبت بطبعها جماعية مدنية، فكذلك كانت الدعوة المحمدية في الحياة النبوية، وكذلك كان الإصلاح المحمدي روحياً أولاً، قائماً على أساس قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**}، فوجب على طالب الإصلاح الحق أن يبدأ من حيث بدأ مولانا المصطفى المعصوم صلى الله عليه وسلم، وأن يقف عند حد الآية فيصلح ما بالنفوس بادئاً، حتى يتهيأ له إصلاح ما بالأكوان على أساس إصلاح النفوس، وإلا كان جهده مضاعاً، ووقته مهدوراً، وكانت دعوته عبثاً زائلاً، وبناءً على الماء يضر ولا ينفع".

ب) قواعد الطريقة المحمدية الشاذلية:

قواعد الطريقة المحمدية هي الأسس التي يعتمد عليها الإطار الفكري لهذه الطريقة، وتعد هذه الطريقة من الطرق التي اهتمت بوضع قواعد ثابتة لها، لا تنحرف عنها، وقد اشتقت جملة هذه القواعد من جملة الأهداف التي وضعتها هذه الطريقة، وسعت جاهدة لتحقيقها، **وقد أجمل شيخ هذه الطريقة الشيخ محمد زكي إبراهيم هذه القواعد فيما يلي:**

1- الطريقة المحمدية الشاذلية طريقة صوفية دستورها القرآن، وغايتها إرضاء الله تعالى:

الطريقة المحمدية طريقة صوفية سلفية شرعية، موصولة السند بالرسول، دستورها الكتاب والسنة، وسبيلها حسن الظن، وحسن الخلق، وحسن العبادة وحسن المعاملة، غايتها الله، والله وحده، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "اجعل لفظ الجلالة الله شعارك وغايتك، وعلى لسانك وقلبك وكل حركاتك وسكناتك، خصوصاً بينك وبين إخوانك في الله كتابة ومشافهة"، بل إن الشيخ يجعل لطريقته أصولاً عشرة، جعل من بينها قول (الله غايتنا)، يقول الشيخ: "الأصول العشرة لطريقتنا: الشرع طريقتنا، والدعوة وظيفتنا، والتضحية سبيلنا، والعلم سبيلنا، والعبادة حرفتنا، والمصحف إجازتنا، والإخلاص طبيعتنا، والمسالمة علامتنا، والنبي قدوتنا، والله غايتنا".

فالله تعالى هو غاية مريدي هذه الطريقة، ولذلك جاء تصوفهم صافياً من كل شائبة، فحبهم لله تعالى، وبغضهم لله تعالى، وقولهم لله وسكوتهم لله، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم لواحد من مريديه: "يا ولدي: لله نحب، ولله نبغض، ولله نقول، ولله نسكت، ولله نُقبل، ولله نُدبر، ولله نبني، ولله نهدم، ولله

نترفع، ولله نتواضع، ولله نقدم، ولله نحجم، نحن أصحاب رسالة، وخدام دعوة، وسدنة حرم روحي مقدس، خرجنا من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته، وبرئنا من عِلمنا وعَملنا إلى علم الله وعمله، وتجردنا من تدبيرنا واختيارنا إلى تدبير الله واختياره".

2- التصوف لدى هذه الطريقة منهج عبادة لله تعالى:

فما رسمه الله فيه هو الرسمي، وما لم يرسمه الله فمرفوض نهائياً، ولا قيمة له وإن وافق عليه كل ما يُسمى العرف الرسمي والتقاليد والمشيخات، فأصول هذه الطريقة لا تقوم على الطبول، ولا الزمور، و العكاكيز ولا الرايات، ولا الأوشحة، ولا مسابح الأعناق، ولا الرقص، ولا المواكب الألعبانية، ولا المكاثرة بالأتباع، ولا المظاهر والدعاوى الكاذبة؛ لأن أساس هذه الطريقة يعتمد على تخريج القادة، لا حشد الجماهير، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "طريقتنا هذه للخواص والقادة أساساً، ثم لصفوة الجماهير الراشدة، ولطلاب الحقيقة والنور والدار الآخرة، فليست هي للحشد ولا المكاثرة والمفاخرة، ولا الإعلان والمراءاة والدعاية، ولكنها للقلة الفاضلة العاملة لوجه الله وحده".

3- الابتعاد عن المسائل الخلافية:

تحرص هذه الطريقة على عدم الانشغال بالمسائل الخلافية، بل الابتعاد عن تفعيل دورها في التعامل مع الطرق الأخرى أو الطوائف الإسلامية المتعددة، حيث تجنبت هذه الطريقة الاختلاف مع الطرق الأخرى حول مسائل متعددة، مثل التوسل في الدعاء، والقراءة للميت، والإعلان بسورة الكهف يوم الجمعة، وأذاني صلاة الجمعة، والصلاة والسلام على الرسول بعد الأذان، والقيام للقادم، والسلام للتوديع، والمصافحة بعد الفرائض والعيدين، وختام الصلاة بالجهر، وزيادة مقابر الأولياء، والتعبد بالأحزاب والأوراد، "فكل هذه مسائل فرعية اجتهادية، قد اختلف ولا يزال يختلف فيها الرأي والنظر، ولم يمكن، ولن يمكن الاجتماع فيها أبداً على رأي واحد، وهي من مسائل الحلال والحرام، وليست من مسائل العقيدة التي يترتب عليها الكفر والإيمان"، حيث يجب عدم الاهتمام بهذه المسائل الخلافية حتى "لا تكون سبباً في الفرقة بين المسلمين أو الحرب التي تمزق الأسرة وتمزع البلاد، وإنما شأنها شأن الخلاف الفقهي المعروف بين المذاهب الأربعة. فكل إنسان يلتزم بما اختار لنفسه فيها".

فاختلاف المسالك أمر مشروع في عُرف الصوفية، بل إن فيه راحة للسالكين لتعدد المشارب والمنافع، يقول أحمد بن محمد زروق في قواعد التصوف: "في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة له

على ما أراد من بلوغ الأرب والتوصل بالمراد، فلذلك اختلف طرق القوم ووجوه سلوكهم؛ فمن ناسك يؤثر الفضائل بكل حال، ومن عابد يتمسك بصحيح الأعمال، ومن زاهد يفر من الخلائق، ومن عارف يتعلق بالحقائق، ومن ورع يحقق المقام بالاحتياط، ومن متمسك يتعلق بالقوم في كل مناط، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط، والكل في دائرة الحق، بإقامة حق الشريعة والفرار من كل ذميمة وشنيعة".

4- عدم تكفير أي مسلم إلا بشروط:

تتبرأ الطريقة المحمدية من توجيه تهمة الشرك أو الكفر أو الفسق أو الزندقة أو الردة لأي إنسان مسلم لمجرد أنه خالف الطريقة في الرأي، أو لأنه ارتكب معصية، وذلك لأن رمي الناس بالكفر أو الشرك حمق ومجازفة، ولا يجوز إخراج أحد من أهل القبلة بسبب خلاف مذهبي أو حكم فرعي له فيه رأي واجتهاد، فالتصوف الحقيقي هو القادر على هضم مختلف الأفكار والمبادئ والمذاهب والاتجاهات، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "لذلك كان من دعوتنا محاولة التقريب بين مذاهب المسلمين وزعمائهم، فكرياً، وعاطفياً في محاولة لتكتيل الشخصيات والتجمعات العاملة في الحقل الإسلامي عالمياً، على المودة والتعاطف، للتعاون في خدمة المتفق عليه أمراً ونهياً، والتهادن مع العذر والتناصح على المختلف فيه من الفروع الاجتهادية، للتفرغ لمواجهة المشاكل الكبرى، متوطنة ووافدة في دنيا المسلمين، وحسبنا من التقارب هذا القدر الذي إن تحقق فجرت من الخير الجامع طاقات إلهية فوق كل تصور".

إن فكرة تكفير المسلم بسبب اختلاف معه في الرأي، فكرة مرفوضة كلية لدى هذه الطريقة، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "لا نكفر مسلماً بقول أو عمل ما لم يعتقده ويعترف بكفره".

ثم إن هذا الاختلاف بين الطرق الصوفية نابع من اختلاف أساليب التربية، فلكل طريقة منهج في تربية المريدين، ولكل شيخ طريقته في تربية أتباعه، "واختلاف أساليب التربية والسلوك والتعبد عند السادة رضي الله عنهم هو كاختلاف أئمة الفقه اجتهاداً في حدود الكتاب والسنة، ثم هو من مقتضيات الفطرة، وهو كذلك ضروري لمواجهة مختلف القابليات والمشارب والاستعدادات على مستوياتها المتعددة،... لذلك كان الصوفية الأفاضل على اختلاف مشاربهم وتسميات طرقهم إخوة وأبناء عمومة، لا فرق بين داعية وآخر".

5- الإيمان بالغيب:

من أهم القواعد التي يعتمد عليها فكر هذه الطريقة قاعدة الإيمان الكامل بالغيب، والإيمان بكرامات الأولياء: أحياء وموتى، وبالرؤيا الصادقة، والإلهام الإلهي والاستخارة الواردة والرقى النبوية الثابتة، والأدعية والآيات والسور القرآنية وما فيها من بركات وأسرار بغير حدود، للأحياء والموتى، والأصحاء والمرضى، على كل ما هو مسجل في كتب التفسير والحديث الشريف.

وذلك لأن الإيمان بالغيب يقوم عليه شطر التصوف؛ لأنه شطر الإيمان الأعظم، وبه تنحل المشاكل التي لا طاقة للعقل أو للعلم المادي بحلها، كمسائل القضاء والقدر، وحقائق سمعيات ما بعد الموت، فليس لها من طريق إلا طريق الكشف والشهود والإلهام الصادق والإيمان الكامل، محكوماً بالكتاب والسنة".

أما الإيمان بكرامات الأولياء فهو ثابت في القرآن المجيد "بما روي من قصة مريم، وما كان يجده زكريا عندها من الرزق، وقصة أهل الكهف، وقصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أم موسى وإرضاعه، وامرأة فرعون، وقصة موسى والخضر، بالإضافة إلى إشارات متعددة، وقد ثبت في الحديث الشريف قصة عمر وسارية، وقصة أسيد بن حضير وقراءته القرآن، وقصة الرجل الذي أضاء له سوطه أو أصابعه، وقصة أهل الغار الثلاثة، وقصة صاحب جريج، وقصة الساحر والملك، أو أصحاب الأخدود، وغير ذلك مما يلتمس في مظانه من كتب الرجال وهو كثير"، وعلى هذا يعد الإيمان بكرامات الأولياء أصلاً من أصول هذه الطريقة، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "نحن نؤمن تماماً بكرامات أولياء الله أحياءً وأمواتاً، ولكننا نرفض المبالغات والشعوذات والتلفيقات نهائياً، ونحن لا نفضل على أشياخنا أحداً أبداً بحكم واجب الأبوة المقدسة وحقوق الأدب والوفاء وبخاصة ساداتنا أهل البيت النبوي".

6- تقدير جميع الطرق الصوفية الشرعية:

تؤمن هذه الطريقة بأن جميع الطرق الصوفية الشرعية على صواب ما دامت قد التزمت بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، مهما اختلفت المشارب والمناهج والأسماء، وحينئذ يجب احترام مشايخ هذه الطرق الشرعية، الأحياء والموتى، بل "نتبرك بهم ما داموا يخدمون في حقل الدعوة إلى الله بلا دعاوى ولا بدع ولا مظهريات، ولكن لا نقدمهم على أشياخنا فقط: شأن الرجل بين الأب والعم"، ويقول الشيخ في موضع آخر: "ونحن نحب بكل الصدق جميع الطرق الشرعية الراشدة، ونتبرك بها

وبأشياخها (أحياء ومنتقلين)، ونعتبر أننا جميعاً أبناء عمومة روحية أصيلة في الله، بلا تعصب، ولا تفريق، ولا مفاضلة، ما داموا عاملين بشرع الله".

إن هذه القاعدة نابعة من أن الطرق الصوفية كلها تسلك طريق القرب من الله تعالى، وإن اختلفت مشاربها ومناهج التربية فيها، فكلها "على كثرتها شيء واحد في حقيقتها، فكلها تبدأ من التوبة وتنتهي بالمعرفة، فالبداية والنهاية فيها واحدة، وإنما الاختلاف في المناهج والأساليب بين وحدة البداية والنهاية، ولهذا سميت الطرق المسالك، فهذه المناهج والأساليب والمسالك والمشارب محل اجتهاد كبار أئمة التصوف فيما رجحه كل منهم للتسامي والسلوك مما يناسب مجتمعه وبيئته والجو العام من حوله في حدود الوارد من الشريعة، فكما اجتهد أئمة الفقه واختلفوا فيما يتعلق بصور العبادات والمعاملات وما يتعلق بها، كذلك اجتهد أئمة التصوف، وكان هذا من فضل الله حتى يجد كل سالك إلى الله ما يناسبه".

7- المحبة لجميع أولياء الله الموتى:

تعتمد الطريقة المحمدية الشاذلية على المحبة لجميع أولياء الله تعالى الموتى، بل التبرك بزيارتهم مهما كانت مذاهبهم ومشاربهم، فكما "لا نفرق بين أحد من رسله، لا نفرق بين أحد من أوليائه، ونترك أمر تفضيلهم الغيبي إلى الله الذي يعلم الحقيقة وحده، فلا نتهجم على سر غيبه المكنون، ولا نبالغ في إطراء الشيوخ إطراء يفضلهم على رسل الله".

ويندرج تحت هذه القاعدة جواز التوسل إلى الله تعالى بالأولياء، وهذا التوسل جائز شرعاً، لا حرمة فيه، بل إنه "فرع في الدين، قد أمر الله به ورسوله، قولاً واحداً، فأصلها صحيح متفق عليه بين جمهور المسلمين والطائفة الشاذة، والخلاف فيها ليس إلا على صورة هذه الوسيلة وطريقتها ووقوعها، فهو خلاف على الفرع، بحكم الميزان العلمي والعقلي الذي يعتبرها سبباً مشروعاً"، فالتوسل إذن في فكر هذه الطريقة مشروع، ولا حرمة فيه، ولذلك يرى مؤسس هذه الطريقة أنه يجوز للمسلم أن يتوسل بالأولياء إلى الله تعالى، يقول الشيخ: "نحن نتوسل بالأولياء إلى الله، على أساس علمنا وتجاربنا، معتقدين أن الله وحده القادر الفاعل، والاستشفاع إليه تعالى بالأولياء؛ إنما هو مجرد سبب، وزيادة في العبودية، وتأكيد للتوحيد الحق، واعتراف بالتقصير المطلق، وهو تذلل عملي، يفيد معنى خصوصيته تعالى بالطلب وزيادة، وما خطواتنا إلى المشاهد والمساجد للصلاة وأنفاسنا فيها، وابتهالاتنا إلى الله بها إلا نوع من

التوسل بالعمل الصالح بجوار التوسل ببركة الروح الصالح، والفاعل في الحياة والموت هو الله، لا الأحياء ولا الأموات، فمن شاء توسل فأحسن، ومن شاء ترك، والله رب القلوب".

8- أتباع هذه الطريقة مجتمعون مؤتلفون:

إن أتباع هذه الطريقة ومريديها جماعة مؤتلفة متحدة فيما بينها، يجمعهم الحب والتعاون والإخلاص بشرط المبايعة على ذلك كله، ويدخل في الطريقة كل من بايع ولو قلبياً على اتباع الطريقة وعمل بأعمالها، وقال بأقوالها، واعتقد عقائدها، وشهد مشاهدها، ودعا بدعوتها، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "له ما لنا من حقوق، وعليه ما علينا من واجبات، سواء في ذلك من كان في المشرق أو في المغرب، أو في الشمال أو في الجنوب، وسواء في ذلك الأمير والحقير، فالأخ الجاهل في ذمة العالم، والأخذ الضعيف في ذمة القوي، والأخذ الفقير في ذمة الغني، والأخ العاجز في ذمة القادر، كل بحسبه وحدود طاقته، ما في ذلك عذر لمعتذر، قد ذابت بيننا الفوارق، فلا اعتبار في أخوتنا إلا للتقوى، والتقوى لا غير، بكل ما تجمعه من أرفع المعاني، والعهد عهد القلب، لا عهد اللسان"، فمعيار العلاقة بين مريدي هذه الطريقة هو التقوى، فلا يفصل بينهم فقر أو غنى؛ لأن الفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى، ومراد سابق من الله في غيبه، لحكمة لا يعلمها إلا هو.

9- العمل كله لله تعالى وحده:

يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "كل حركاتنا وسكناتنا وأنفاسنا وخطواتنا وأقوالنا وأعمالنا وأحوالنا وكل شئون معادنا ومعاشنا، حتى الراحة والمتع، مراد بها وجه الله وحده، فهي بحسن توجيه نياتنا، وحضورنا مع الله، صلوات وعبادات وأوراد وأذكار، ولهذا نحن نقول: أخونا فلان، أو سيدي فلان، في ورد العمل، أو ورد الراحة، أو ورد النوم، أو ورد العبادة، أو ورد الفسحة، أو ورد المطالعة، أو ورد الزيارة، أو ورد الكتابة، أو غير ذلك، تيمناً وتذكيراً وتوجيهاً إلى معالي الأمور، فالأدب العالي هو سبيلنا".

10- ضرورة مشاركة المريدين في التمويل المالي للطريقة:

إن أتباع هذه الطريقة كلهم ينتمون إلى أسرة واحدة، هي أسرة هذه الطريقة، وعلى هذه الأسرة التزامات مادية متجددة مع مرور الوقت، وهي التزامات لا تنتهي، بل تزداد، ولذلك يطالب كل مريد ينتمي إلى هذه الطريقة بالمشاركة في هذه الالتزامات بما يفيض عن حاجته، لذلك يطالب الشيخ محمد زكي إبراهيم كل مريد تابع لطريقته أن يجعل للطريقة نصيباً من زكاة ماله أو صدقاته، يقول الشيخ:

"اجعل لها نصيباً مفروضاً من زكاتك وصدقاتك، ومن الجهد الشخصي، ومن الجاه والشفاعة عند الناس، وقدم اشتراكك الشهري واشتراك مجلة المسلم السنوي دون تذكير أو تنبيه، وقدم ما تستطيعه وإن قل من المال أو الأشياء العينية الأخرى؛ لينتفع بها فقراء الإخوان، خصوصاً في مناسبة إحياء ذكريات أشياخنا ومواسمنا الإسلامية المباركة".

وهذا أمر معلوم عند كل الطرق الصوفية، إذ يقوم مريدو كل طريقة بالمساهمة في تمويل طريقتهم، تبركاً وانتظاراً لرضا شيخ الطريقة عنهم.

ج) عهود الطريقة المحمدية الشاذلية:

في إطار التربية السلوكية لمريدي هذه الطريقة وضع مؤسس هذه الطريقة خمسة وثلاثين عهداً لهؤلاء المريدين، خاصة أن هذه التربية الروحية الإسلامية الجامعة هي الوسيلة الوحيدة الأكيدة لإيقاظ الأفراد، وإنقاذ الإنسانية الضالة وتوجيهها وجهة السمو الطبيعي، وتعد هذه العهود ارتباطاً بين المريدين والشيخ، ويمكن إجمال هذه العهود فيما يلي:

- **العهد الأول**: لا معنى للحياة بغير غاية، قال الله تعالى: {**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**}، وغايتنا يجب أن تكون الجهاد في الله، فعلى المريد أن يسترد اعتباره كإنسان، وأن يسجل صلته بالمدد المحمدي الصادق.
- **العهد الثاني**: على المريد أن يعلم أننا قوم فقراء، وفخرنا في فقرنا، وأننا عدد قليل، وقوتنا في قلتنا، وأننا أغراب في وطننا وقومنا، وعزتنا في غربتنا.
- **العهد الثالث**: السمع والطاعة، والاعتقاد الجازم في الشيخ، والتأدب في الحضور أو الغياب مع الشيخ، وحسن الظن، وتقبل الشيخ على علاته.
- **العهد الرابع**: البعد عن صحبة المصالحة، فلا يجب مصاحبة المريد للشيخ لدنيا يصيبها، أو حاجة يطلبها، أو شهوة يقضيها، أو غير ذلك من متاع الدنيا.
- **العهد الخامس**: المحافظة على الورد اليومي، مع شهود الاجتماع الشهري لمريدي الطريقة بعد مغرب الخميس الثاني من كل شهر عربي، بالدار المحمدية العامة.

- **العهد السادس**: عدم التسامح في حق الفقراء عند الأغنياء في كافة أنواع الزكاة المفروضة، لأن المال مال الله، والحق حق الله لفقرائه.
- **العهد السابع**: تبليغ دعوة الطريقة المحمدية إلى كل من للمريد بهم علاقة أو صلة، مع التعصب لهذه الدعوة، ودراسة مطبوعاتها مرة بعد مرة.
- **العهد الثامن**: التماسك والتساند والتسامح والتواضع والود والتضحية والتواصل والتعاون بين كل المريدين.
- **العهد التاسع**: المدافعة عن التصوف الحقيقي، الذي هو عصارة اليقين وإكسير الحقيقة الكبرى، وهو الروحانية والربانية التي لابد منها، وهو التصوف الذي حمى بيضة الإسلام بالقلب واللسان والسنان.
- **العهد العاشر**: الاعتقاد الكامل في نسبة هذه الطريقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأنها طريقة لا تسعى إلا إلى خدمة الخير والأخلاق والروحانية.
- **العهد الحادي عشر**: الاعتقاد في أن هذه الطريقة المحمدية ملك لكل فرد تابع يخدمها، وهي طريقة كد وكدح وجد وكفاح وتضحية وحركة ويقين، وهي طريقة تشمل محيط الحياة كلها.
- **العهد الثاني عشر**: الثبات على مرارة الدعوة، فيتلقى المريد الابتلاءات والمصائب بالرضا والسعادة والرزانة.
- **العهد الثالث عشر**: الابتعاد عن الجدال، وألا نقتل الوقت في منافسة أو مزاحمة، وألا نؤذي الناس، وأن تجنوا علينا وأساءوا إلينا.
- **العهد الرابع عشر**: العهد الحقيقي هو عهد القلوب، فإن من عهد الله علينا أن تؤمن بأن عدم الاجتماع بالرائد والإمام أو عدم زيارته لك لا يؤثر مطلقاً في واجب الجهاد والثبات والإنتاج، ما دامت القلوب والأرواح مجتمعة على العقيدة الكبرى.
- **العهد الخامس عشر**: القيام بدور رسل السلام والمحبة، والإيمان الكامل بأن يوم النصر مقبل لا محالة، فعلى من يأتي بعد ذلك أن يكمل ما بدأه السابقون.

- **العهد السادس عشر**: الالتزام الكامل بآداب الطريقة، ومنها: كمال الدين، وكمال الأدب، وكمال الرجولة، وضبط النفس، وتمام حسن الظن بالله، وغير ذلك.
- **العهد السابع عشر**: الحب لجميع طوائف المسلمين وهيئاتهم، وتوجيه النصح الحكيم لهم، فالخلاف بين الطرق المختلفة لا يجب أن يؤدي إلى الفرقة.
- **العهد الثامن عشر**: توخي وجه الله تعالى، وذلك بالترفع عن الأنانية، والقيام بالواجب العيني في خدمة الإسلام، حتى إن كان الأفراد المريدون قليلين، فالعبرة ليست بالكثرة أو القلة.
- **العهد التاسع عشر**: الاهتمام بالعلم وتقدير علماء الطريقة ومنحهم ما هم أهل له من التقدير، مع الإيمان الكامل بأن البركة في العلم أهم من العلم نفسه.
- **العهد العشرون**: عدم الاهتمام بالشئون الخاصة بصاحب الدعوة، كوظيفته، أو أعوانه، أو مدى نفوذه وسلطانه، أو عدد ألقابه وتيجانه وقميصه، وغير ذلك.
- **العهد الحادي والعشرون**: الاعتقاد أن الفقر ليس عيباً، بل قد يكون فخراً لأصحابه، كما أن فقرنا ليس من صنعنا ولا اختيارنا، ولكنه إرادة الله فينا.
- **العهد الثاني والعشرون**: الانخراط في جماعة المريدين والسير على المنهج الذي يسيرون عليه، وأن تقوم بالدور الذي يقومون به في مجال الدعوة، وأن تجعل بيتك مثابة شاملة.
- **العهد الثالث والعشرون**: الاعتقاد بأن صغائر الذنوب لا تطعن في ولاية الولي ما دامت غير مسبوقة بقصد أو إصرار، وليس هناك معصوم إلا الأنبياء.
- **العهد الرابع والعشرون**: الإيمان بأن ألواناً كثيرة من الناس سوف يفدون عليك يختبرون دعوتك ويقيسونها على ما وقر في نفوسهم من أغراض وفهوم.
- **العهد الخامس والعشرون**: مواجهة المغرضين والغافلين والمتجبرين والحاقدين بالعلم والصبر والجهاد.
- **العهد السادس والعشرون**: تطهير الولائم والاجتماعات والأفراح من البدع والمنكرات، وأنواع التكليف ومساوئ العادات.

- **العهد السابع والعشرون:** الاعتقاد أن المرأة نصف الحياة، ولذلك اهتم بها القرآن الكريم فقرنها بالرجل في أعمال الخير والأخلاق الروحانية.
- **العهد الثامن والعشرون:** الاعتقاد بأن التصوف عبادة خاصة لله، يتصف بها كل من لازمها، شاء الناس أم لم يشاءوا، وأن التصوف ليس احتكاراً لطائفة، ولا وقفاً على جماعة بذاتها.
- **العهد التاسع والعشرون:** الاعتقاد بأن ما يصيب المريد من الأذى في الله إنما هو نعمة من الله، وفضل منه عليه، واجتباء له وميراث مخصوص به.
- **العهد الثلاثون:** اتخاذ الخلوة اليومية بين المريد وبين الله تعالى حسبما يناسب المريد من زمان ومكان، بحيث يناسب نفسه ويتزود لآخرته، فيستغفر الله في هذه الخلوة على الأقل مائة مرة، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، ثم يتلو بعد ذلك ورده اليومي من القرآن الكريم، وغير ذلك من الأذكار المختلفة.
- **العهد الحادي والثلاثون:** تهذيب النفس بالرياضة الروحية، حيث يلقي المريد نفسه في أحضان الطريقة، فيهيئ لنفسه في مسكنه وإن صغر مكاناً دائماً للعبادة، يسع ولو شخصاً واحداً؛ لكي يكون خلوة وتذكرة له ولأهله بالله.
- **العهد الثاني والثلاثون:** التعامل مع جميع الطوائف والهيئات الإسلامية، فيجب عليك أن تؤاخي جميع هذه الطوائف.
- **العهد الثالث والثلاثون:** تبليغ الدعوة إلى الشباب من ذكر أو أنثى، وما عليك إلا التبليغ، وما دمت قد فعلت فقد نجحت ولو لم تبعك أحد.
- **العهد الرابع والثلاثون:** الاعتقاد بأن الدار المحمدية هي دار كل المريدين، وهي مرجعهم في كافة شئونهم، وهي رمز غاياتهم، ولذلك وجب عليهم رعايتها بكثرة زيارتها والمحافظة على آثار شيوخهم فيها، وتعهد مواسمها بالإحياء.
- **العهد الخامس والثلاثون:** الإيمان بمنزلة أهل الصفة في تاريخ الإسلام، فعن أهل الصفة سماعاً ونقلاً بالتوارث أخذ علماء الدين وقادة الحرب وزعماء السياسة ورجال التصوف وأهل

الكلام ورواد الأدب، وقد أنزل الله تعالى في أهل الصفة قرآناً، وقد اختار شيخ الطريقة مكاناً في مسجد الطريقة وأسماه (مجلس أهل الصفة) تشبهاً بأهل الصفة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وتبركاً.

هذه هي العهود التي يتعهد بها كل مريد في هذه الطريقة أمام شيخ الطريقة، وقد عرضناها هنا بإيجاز غير مخل؛ تعميماً للفائدة، وهي كما نرى عهود جامعة شاملة، تشمل معظم جوانب التربية الإيمانية والسلوكية للمريد، كما أنها تؤكد على خلو تصوف هذه الطريقة مما يشوب غيرها من البدع والمنكرات، وهي أيضاً تشمل علاقة المريد بالله تعالى، ثم علاقته بنفسه، ثم علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه.

ثالثاً: الخصائص المميزة للطريقة المحمدية عن غيرها:

هناك جملة من الخصائص تجمع الطرق الصوفية فيما بينها، منها مثلاً وجود شيخ مرب ومريد، مع حسن العلاقة بينهما، ومنها أيضاً لبس الخرقة، "فإن من أهم خصائص الطريقة لبس المرقعة أو الخرقة الصوفية، ويكاد يُجمع أصحاب الطرق الصوفية المختلفة أنهم أخذوا الخرقة من فلان عن فلان في سلسلة عنعنة طويلة تنتهي إلى الإمام علي كرم الله وجهه".

يقول أبو الحسن الهجويري: "وقد أمر مشايخ هذه الطريقة المريدين بأن يتحلوا بالمرقعات ويتزينوا بها، وفعلوا هم أيضاً ذلك؛ ليكون لهم علامة بين الخلق"، حيث نرى كثيراً من هذه الطرق الصوفية تتخذ لها شعاراً من لون العمامة، فنجد رجال الطريقة الرفاعية اختاروا مثلاً اللون الأسود، ونرى أن رجال الطريقة الأحمدية اختاروا اللون الأحمر، كما اختار رجال الطريقة العفيفية اللون الأصفر، بينما اختارت الطريقة القادرية اللون الأخضر، وبعضهم جمع بين لونين في خرقته، وبعضهم فرق بين اللون الفاتح واللون القاتم.

ومن جملة الخصائص العامة للطرق الصوفية أيضاً الذكر، بل هو من أهم تلك الخصائص والمميزات التي تشمل جميع هذه الطرق، وقد اهتم شيوخ الطرق الصوفية بالذكر، وسطروا فيه كتباً كثيرة، وجعلوا له آداباً جمة، وبينوا أنواعه وأحواله وفوائده، وإن اختلفت الطرق فيما بينها حول أشكال الذكر وصوره وأحواله، فمنهم من التزم بالآداب الشرعية في الذكر، ومن هذه الطرق من مزج الذكر بالموسيقى والغناء، بل بالرقص أحياناً، حتى أصبحت طريقة الذكر "تسيء إلى التصوف والطرق الصوفية، بل إنها

الآن الشرخ الواضح الذي أحدثه الأدعياء من المريدين والأتباع في الطرق الصوفية، فنحن نرى مثلاً حلقات الذكر بالألحان والإيقاعات والدف والبندير والصياحات الغريبة التي شوهت ذكر الله تعالى، حتى أننا رأينا أن طريق الذكر تعني الشكل الإيقاعي الذي يكون عليه إنشاد ذكر الله، وهو إيقاع جماعي للفظة الجلالة و (لا إله إلا الله) أو (الله حي)، ويتخللها إيقاعات وألحان أخرى لقصائد دينية،... وقد أساء هذا للطرق الصوفية إساءة بالغة، وأصبحت طريقة ذكر الطرق الصوفية ثغرة ينفذ منها أعداء التصوف".

ومن جملة هذه الخصائص العامة للطرق الصوفية السماع، وهو "أحمد التقاليد ذات الطابع العملي في التصوف الإسلامي، ويُعد لوناً من العبادة الجماعية، حيث يجتمع عدد من الصوفية في مكان خاص، ثم يبدأ قوَّال ذو صوت حسن منهم أو من غيرهم في إنشاد بعض الأشعار الصوفية أو العذرية، بينما يستغرق الحاضرون في جمال اللحن أو المعنى، وغالباً ما ينشأ عن هذا الاستغراق نوعٌ من الجذب لدى أحدهم، فيفقد شعوره الطبيعي ويصيح ويضطرب، ثم يرتمي أخيراً على الأرض، وكأنما تلبسه روح غيبي، عندئذٍ يتوقف كل شيء، ويسارع الجميع للتبرك به وتهنئته بعدما يفيق، كإنسان مسته أو حلت به عناية الله".

وقد اختلفت الطرق الصوفية في الحكم على السماع، قال الإمام القشيري: "سُئل ذو النون المصري عن الصوت الحسن، فقال: مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة، وسئل مرة أخرى عن السماع فقال: وارد حق يُزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق".

وهو سمة أصيلة عند معظم الطرق الصوفية، لكن بعضها ابتعد عنه إذا امتزج بمحظور أو مذموم، يقول الإمام الطوسي: "وأهم ما امتاز به الصوفية هو التحرز في السماع، فكل من سمع السماع من طريق الطيبة والتلذذ بالنعمة واستحسان الصوت؛ فيس ذلك محرماً عليهم ولا محظوراً، إن لم يكن قصدهم في ذلك الفساد والمخالفة واللهو وترك الحدود"، وللسماع عند الصوفية مراتب وآداب كثيرة، استفاض في تحديدها وتوضيحها علماء التصوف في كتبهم ورسائلهم.

ومن جملة الخصائص العامة للطرق الصوفية أيضاً الموالد، وهي من الظواهر الدينية الاجتماعية الاقتصادية التي ترتبت على ظهور الطرق الصوفية في مصر؛ حيث ظهرت وانتشرت تلك الموالد المتعددة

في مصر للاحتفال بذكرى شيوخ الطرق الصوفية وأولياء الله الصالحين، "والمولد هو عيد شعبي ديني يقام تكريماً لأحد الأولياء في مصر، وهو عادة إسلامية تماثل الأعياد والمواسم التي تقام في أوروبا ومستعمراتها لتكريم بعض القديسين المسيحيين".

وقد ارتبطت هذه الموالد بالطرق الصوفية ارتباطاً وثيقاً؛ لأن هذه الموالد تقام لأولياء الله وللشيوخ الذين هم أرباب هذه الطرق، ولكثرة هذه الطرق في مصر ولكثرة الأولياء تعددت هذه الموالد، ولذلك "تقام الموالد في مصر على مدار العام وحتى في شهر رمضان، وفي مجلة الطرق الصوفية لشهر أبريل عام 1989م التصوف الإسلامي نجد قائمة بما لا يقل عن ثمانية عشر مولداً تقام في الإسكندرية خلال شهر رمضان من عام 1409 هجرية".

ومن جملة هذه الخصائص أيضاً اعتقاد مريدي هذه الطرق في كرامات شيوخهم من أولياء الله الصالحين؛ حيث يروي كثير من المنتسبين إلى هذه الطرق جملة كثيرة من الكرامات التي وقعت لشيوخهم ويتناقلونها بينهم، حتى أصبحت أمراً معروفاً لدى العامة من الناس، فلقد "وجد حول كل ولي من أوليائه المتقين مجموعة من المنتفعين الذين يعيشون على حساب سمعة ذلك الولي أو الشيخ حياً أو ميتاً، وهؤلاء يهمهم أن يظهروا شيخهم في صورة القادر على كل شيء، فما من كربة إلا وهو قادر على تفريجها، وما من غمة إلا ويستطيع كشفها، وهكذا يقصد أصحاب الحاجات شراء الشيخ وأتباعه بما يقدمونه من صدقات ونذور في مقامه، فإذا رضي الشيخ عنهم فإن طلبهم مجابٌ، وحاجتهم مقضية".

وهذا يؤكد لنا أن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الهابطة التي عاشها المجتمع المصري منذ القرن السابع الهجري وما تلاه من قرون ضعف وانقسام وتفكك سياسي واجتماعي ساعد على ذيوع وانتشار الكثير من الكرامات حول شيوخ الطرق الصوفية، و"ويبدو لنا أنه مما ساعد على انتشار الكرامات حول الأولياء أن عقلية الشعب المصري تستريح وتميل إلى الاعتقاد في الأولياء وكراماتهم اعتقاداً متأصلاً راسخاً في فكرهم منذ أزمان بعيدة، ويبدو أيضاً أن هناك عناصر قديمة الجذور متأصلة في نفسية الشعب المصري، تجعلها تؤمن بهذه الخرافات حول قدرة الأولياء على التصرف في الأكوان وعمل المستحيل".

ومن جملة هذه الخصائص أيضاً زيارة الأولياء الموتى والتوسل بهم، وهذا شائع عند كل الطرق الصوفية، وهو منتشر في كل البلاد المصرية، فما ترى بلداً في أرض مصر، سواء في ريف أو حضر؛ إلا

وتجد فيه قبراً، أو أكثر من قبر لبعض أولياء الله الصالحين، يقوم الناس بزيارته والتبرك به، بخاصة أتباع الطرق الصوفية، حيث يقوم هؤلاء المريدون بالزيارة ورفع شكواهم لهؤلاء الأولياء، بل إن من الناس من يكتب شكواه في صفحة أو صفحتين من الورق، ثم يتركون ذلك في ساحة القبر أو الضريح، اعتقاداً منهم بأن هذا الولي سوف يقوم ويقرأ ما في هذه الشكوى، ثم يقضي أمر هذا الشاكي.

هذه بعض الخصائص العامة التي تشترك فيها معظم الطرق الصوفية، وتشترك في بعضها الطريقة المحمدية الشاذلية، إلا أن هذه الطريقة لها خصائص خاصة بها، تميزها عن غيرها من الطرق الأخرى، ولا تشترك معها فيها، ونستطيع أن نجمل هذه الخصائص فيما يلي:

1- الالتزام الكامل بالكتاب والسنة:

إن هذه الطريقة في نهجها العام وفي مظاهر العبادة فيها لا تخالف شرع الله تعالى، فهي "ترد كل شيء إلى الله ورسوله، ولا تترخص في شيء جاء به الكتاب والسنة، وهي تجعل العقل والشرع ميزان كل ما تأخذ وما تدع، ورجالها رجال عمليون واقعيون، لا يُخدعون ببهرج ولا مظهر، ولا يُبهرون بزخرف ولا بدنيا، وهم يترفعون عن الريب، ويعتصمون بمعالي الأمور، ويجعلون الصبر والتحمل والأمل قاعدة جهادهم، وما دام الله قد رضي عنهم فكل شيء هين".

فتصوف هذه الطريقة مرتبط بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، لا زيغ فيه عنهما ولا انحراف، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "اعلم يا ولدي وعلم الناس أن التصوف الحق مقيد بأحكام الكتاب والسنة، على أساس العزيمة، وحذار من الصيرورة إلى الرخصة، إلا في حدها المحدود، فالتصوف من حيث هو علم وعمل، وخلق وعبادة، وجهاد ودعوة هو أصل مؤصل مما جاء به الوحي، وحثت عليه الشريعة كما رأيت، فهو طلب الكمال".

وهناك من يتهم رجال التصوف بأنهم لا يلتزمون بشرع الله تعالى، وربما كان هذا موجوداً في بعض الطرق، لكن "الصوفي الحق لا يحيد عن اتباع الكتاب والسنة، وما ورد في كتب التصوف من أقوال وحكايات تخالف الشرع هي أخبار مدسوسة على الأولياء، لا يؤخذ بها، ولا يلتفت إليها".

2- الجمع بين خصائص أكثرية الطرق الأخرى:

فهي طريقة "كاملة جامعة لبركات وخصائص أكثرية الطرق المفضلة بحمد الله، ويمتاز مريدوها بحي جميع الطرق الشرعية، وبحسن الظن في الدعاة بحق إلى الله جميعاً، وبالأدب مع كل شيخ متشرع متمسك"، فهم متواضعون مع الخلق، وهم متأدبون مع غيرهم، وهذا شأن الصوفية الصادقين، يقول السهروردي: "وليحذر المتأدب أن يحقر أحداً من المسلمين، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**)"، وهم يحرصون على تقدير كل مشايخ الطرق الصوفية الأخرى ما داموا قد التزموا بطريق الله تعالى ولم ينحرفوا عن التصوف الجاد الذي يتفق مع شرع الله تعالى.

3- الاهتمام بالثقافة الإسلامية والخدمة الاجتماعية:

إن الطريقة المحمدية ومعها العشيرة المحمدية تهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، لأنه مظهر من مظاهر تحضر الطريقة وانخراطها في المجتمع، وخدمتها لهذا المجتمع، والتصوف الراشد ليس انفصالاً عن المجتمع كما يتصور بعض الناس، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "ولعل من مميزات هذه الطريقة أيضاً أنها تجعل العناية بالثقافة الإسلامية، والخدمة الاجتماعية والإنسانية في منزلة لا تقل أبداً عن العناية بالتربية الدينية والروحية، وترى أنها جميعاً حلقة واحدة، يُفضي بعضها إلى بعض، ولا غنى لبعضها عن بعض، ولا يقوم بعضها إلا ببعض، ولهذا نقول: إنه لا بد من إصلاح جذري في الدعوة الصوفية الحالية حتى تؤدي رسالة الله"، ولذلك تنوعت الأنشطة التابعة لهذه الطريقة، سواء في المجال الثقافي أو المجال الاجتماعي، أو في غيرهما من المجالات الأخرى.

4- عدم الاهتمام بلبس الخرقة:

ليس للطريقة المحمدية زي محدد أو خرقة محددة تتميز بها عن غيرها من الطرق الأخرى، بل إنها ترى في لبس الخرقة ابتداعاً منكراً، لا أساس له من صحيح الدين، ولذلك يعترض مؤسس هذه الطريقة الشيخ محمد زكي إبراهيم على لبس الخرقة، سواء كانت خضراء، أو حمراء، أو سوداء، أو غير ذلك من الألوان التي شاعت عند بعض الطرق الصوفية، يقول الشيخ: "لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس عمامة خضراء، ولا لبسها واحد من سلف أهل البيت، ولا واحد من الصحابة ولا التابعين إلى عهد السلطان شعبان بمصر في القرن السابع أيام المماليك، حيث ابتكر هو للأشراف لبس هذه العمامة الخضراء، فحكم العلماء بأنها بدعة"، رغم أن بعض المفكرين المنتمين لهذه الطريقة يرى أنه لا حرج في

اتخاذ عمامة معينة لأصحاب الطرق كنوع من التفريق بين طريقة وأخرى، ويرى أن لبس المرقع من الثبات عند الصوفية إنما هو نوع من إظهار التواضع والفقر إلى الله تعالى، يقول الحسيني أبو فرحة: "فهم إذا لبسوا المرقع من الثياب إنما يقصدون بذلك البذاذة والإعراض عن الدنيا زهداً فيها، أو يلبسون المرقع بسبب الفقر، فهم يعيشون في حدود التأسي بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، وإن كان يوجد من أدعياء التصوف من يفعل ذلك لحظ نفسه للشهرة والشهوة وللتكسب أيضاً".

لكن الواقع المرئي لكل ذي عينين ثاقبتين أن الشيخ محمد زكي إبراهيم مؤسس هذه الطريقة لم يتخذ في حياته كلها عمامة محددة بلون معين، ولم يأمر أتباعه بذلك، ولم يفعل ذلك أيضاً خليفته من بعد، شيخ الطريقة الحالي؛ ابنه الشيخ عصام الدين زكي محمد إبراهيم، وهذا من ملامح تميز هذه الطريقة عن غيرها.

5- تنقية الذكر من كل صور الفساد:

تتخذ هذه الطريقة من الذكر وسيلة للعبادة والتقرب إلى الله تعالى، وهي حين تدعو إلى الذكر، بل تأمر به، فإنها تدعو وتأمر بالذكر الشرعي، الخالي من صور الفساد المختلفة، ولذلك لا تقر هذه الطريقة ما يحدث في حلقات الذكر من طبل ورقص وزمر وغيره، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "وربما كان من الخير ضرورة النص على أنه ليس في طريقتنا طبل ولا زمر ولا رقص ولا رايات ولا أشاير ولا دلوق ولا مرقعات ولا طراطير ولا عكاكيز ولا سواري، ولا جمع جموع ولا ركبة خليفة، ولا دعاوى بالولاية ولا كشف غيب، ولا تجارة بالكرامات والخوارق، ولا قول بالحلول والاتحاد والوحدة، ولا لغو بمخالفة الشريعة والحقيقة، ولا تفنن بسقوط التكاليف وصور العبادة، ولا تبطل ولا تعطل ولا شعوذة، ولا غير ذلك من العبث والتشغيب الصارف عن خدمة الحق، بل إننا نكافح في كل ذلك بكل ما لدينا من وسائل شرعية وطاقات"، ويقول في موضع آخر: "وأما الرقص في الذكر فممنوع، ويجب أن يكون هناك علم بالفرق بين الرقص وبين تمايل الوجد، وطلب الاستغراق في أنوار الذكر، فتمايل الوجد نقله الخلف عن السلف، واثبته القاضي عياض عن الإمام علي بن أبي طالب، قالوا: إنهم كانوا يتمايلون في العبادة كالشجرة في الريح العاصف، وهو نوع من الركوع مأخوذ من الصلاة، وهذا غير التلوي والخفة، وغير الوثب والقفز واللف والدوران، الذي هو الرقص المتبع الآن، وهو الممنوع في عبادة المسلمين، أما الطبل والزمر بكل أنواعه مع الذكر فحرام قولاً واحدا".

وقد حضر الباحث كثيراً من حضرات وحلقات الذكر التي كان يقودها شيخ هذه الطريقة الراحل، أو أتباعه ووكلاؤه في ربوع مصر، أو شيخها الحالي، فما وجد في هذه الحلقات طبلاً ولا رقصاً، أو أي مظهر من مظاهر الفساد الأخرى، إلا أن هذه الحلقات قد يتخللها بعض الإنشاد الديني أو المدائح النبوية التي يلقيها ذوو الصوت الحسن المؤثرين في المستمعين، من غير مصاحبة ذلك لأي لون من ألوان العزف الموسيقي، ولا تزال حلقات العبادة والذكر التي تقام بالمساجد التابعة لهذه الطريقة، أو في أي مكان آخر شاهدة على ذلك.

6- البعد عن المواكب الصوفية غير المشروعة:

ترى هذه الطريقة أن سير المواكب الصوفية المعروفة لدى الطرق الصوفية أمر مشروع، ولكن بشروط محددة تتفق مع شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أي أن تكون على صورة مواكب الصحابة حين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى، ولذلك اشترطت هذه الطريقة لهذه المواكب شروطاً محددة، من هذه الشروط:

- النظام: فهو أساس أم العبادات؛ الصلاة.
- الوقار: فلا طبول ولا زمور ولا تصفيق ولا صراخ.
- الإيمان: فلا عكاكيز ولا بيارق ولا أوشحة.
- إرادة وجه الله: فلا نفاق لحاكم، ولا طلب لدنيا.
- إظهار عزة الإسلام ومجده وقوته ومنعته وتطبيق شريعته.
- الإعلان بالذكر الصحيح نطقه، المفهوم معناه، الموزون صوته.
- الدعوة بالأدب العلمي الرفيع، بلا تطرف ولا استهتار.
- البراءة من المفاخرة والمكاثرة والبدع والدعاوى والدعايات والتهريج والتخريف؛ احتراماً للدين والدعوة.
- فهم الهدف ومحاولة تحقيقه قولاً وعملاً، وصورة، وحقيقة، على أرفع المستويات؛ بعثاً للربانية وحضارة الإسلام.

أما إذا كانت هذه المواكب على هذه الهيئة والصورة التي نراها الآن في كثير من مواكب الصوفية فهو غير جائز شرعاً؛ يقول الشيخ: "فإذا خالط المواكب طبل، أو زمر، أو رقص، أو اختلاط بين الجنسين، أو عبث الأطفال، أو حب للظهور، أو أريد به مجرد التهريج أو الدعاية بالقول أو العمل، أو خالفه الوقار والجلال، أو خالف شيئاً من صورة مواكب الصحابة كان حراماً موبقاً، وسقط الموكب ومن اشترك فيه من عين الله وعين الناس، وتبرأ منه تصوف أهل الله، وإن صرحت به حكومات الدنيا، وأشرفت عليه مشيخات العالم، ولهذا اختارت الطريقة المحمدية البعد عن هذه المواكب نهائياً لتعذر حمايتها مما لا يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم".

ويؤكد الشيخ هذا الرفض للمواكب ولما يحدث فيها من فساد يبتعد بالتصوف عن مضمونه الحقيقي، بل يرى أن كفاح هذا الفساد يعد فرضاً دينياً واجباً على المتصوفين، وعلى كل مسلم، يقول بعد حديثه عن بعض مظاهر الفساد التي تحدث في موالد أولياء الله وشيوخ الطرق الصوفية "فإذا أضفنا إلى ذلك ما يسمى المواكب بمهازلها ومباذلها، وما يسمى الركبة بعارها وشنارها، وما يسمى الجمع والشورة ببدعها وشنعها، وما يتخلل ذلك من طبول وزمور ورقص، ومتالف دينية، وكيف يتأثر المجتمع بهذه الأوبئة، وكيف يُصوَّر الدين أمام أعدائه، وأمام الأجانب بهذه الصور المزرية، التي لا تمت إلى الجد، ولا إلى التصوف النظيف، بأي سبب، إذا أضفنا هذا عرفنا إلى أي حد كان كفاح هذه الموبقات فرضاً عينياً على كل غيور على الدين وعلى تصوف المسلمين".

وهذا الرفض التام لظاهرة المواكب التي تنتشر لدى كثير من الطرق الصوفية ليس قاصراً على الشيخ محمد زكي إبراهيم مؤسس هذه الطريقة، بل استمر هذا الرفض مع الشيخ الحالي لهذه الطريقة: الشيخ محمد عصام الدين، يقول الشيخ: "إن التصوف ليس هو الحشود التي نراها حول مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه والسيدة رضي الله عنها والمقامات الأخرى، التي تسمع الأذان ولا تدخل المسجد لتصلي، بل تراهم يسيئون إلى الإسلام أصلاً، ويسيئون إلى التصوف الحق، إن التصوف ليس هو المواكب والرايات والأوشحة والأعلام والعمامات الخضراء وغيرها، ولا الطبل ولا الزمر ولا الرقص، ولا المتاجرة بالكرامات وادعاء الولاية والبلاهة والتعطل والتبطل وغير ذلك".

7- جواز زيارة أضرحة وقبور الأولياء مع الالتزام بشرع الله عند الزيارة:

اعتاد كثيرٌ من أتباع الطرق الصوفية أن يقوموا بزيارة أضرحة وقبور أولياء الله الصالحين الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة، فيقومون هناك ببعض الأعمال المنافية لحقيقة الدين الإسلامي وبالتالي لحقيقة التصوف، حيث يقوم بعض التابعين بتقبيل أضرحة هؤلاء الأولياء، وربما بالسجود أمام هذه القبور، وتقديم النذور في صناديق هذه الأضرحة، وبذبح الذبائح أمام هذه الأضرحة والقبور؛ تقرباً لأصحاب هذه القبور، بل يقومون بتوجيه الدعاء لهم؛ طمعاً في قضاء حاجة من الحاجات، كرفع ضرر، أو الشفاء من مرض، أو طلباً لعريس لفتاة لم تتزوج بعد، أو غير ذلك من مثل هذه الأمور التي نراها ونسمع بها، سواء في مدن مصر أو في ريفها.

والحق أن زيارة القبور مشروعة في الإسلام بشروط محددة، بل لم "يختلف سلف ولا خلف على استحباب زيارة القبور، لما جاء في الحث عليها بشروطها، وترغيب زيارتها بقول وفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم: (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، ولا تقولوا هجراً**)، أي قول الجاهلية، والأحاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة، ولا خلاف على أن رسول الله كان يزور أهل البقيع ويدعو لهم".

لكن ما يحدث عند زيارة أتباع بعض الطرق لأضرحة الأولياء وقبورهم لا يتفق مع شرع الله تعالى ومع التصوف الراشد، ولذلك يأمر شيخ هذه الطريقة أتباعه بزيارة مشاهد أهل الله عموماً، وخصوصاً مشايخ الطريقة، بل يأمرهم بالتوسل بهؤلاء الأولياء إلى الله تعالى، بشروط الزيارة الشرعية المقررة وشروط التوسل المعروفة في دين الإسلام، يقول الشيخ: "لا تنس أبداً موالاة زيارة مشاهد أهل الله عموماً، ومشايخ طريقتنا خصوصاً، زيارة شرعية للعبرة والقدوة والدعاء والصدقة والبركة، والتوسل إلى الله بهم، ولا تقل في الزيارة: (يا سيدي أو يا سيدتي اعمل لي كذا أو كذا)، بل قل: (يا رب أسألك كذا وكذا ببركة صاحب أو صاحبة هذا المقام، وما له عندك من المنزلة والكرامة)، أو نحو هذا، فاجعل الطلب كله من الله، وصاحب المقام وسيلة وشفاعة ليس إلا، فلا أحد يملك مع الله شيئاً، سواء الأحياء والموتى، وعليك نصيحة الجاهل بالحسنى".

والحق أن الباحث قد ذهب عدة مرات إلى مقر هذه الطريقة في مسجد المشايخ بحي (قايتباي) بالقاهرة، حيث يوجد ضريح مؤسس هذه الطريقة الشيخ محمد زكي إبراهيم، وأضرحة أبيه وأجداده، ووجد الناس من أتباع هذه الطريقة ومريديها يزورون هذه الأضرحة، متبعين في ذلك الأصول الشرعية

لهذه الزيارة، ولا يفعلون ما يفعله بعض أتباع الطرق الأخرى مما يخالف تعاليم الإسلام والتصوف الصحيح.

8- منح الكُنى والألقاب للمريدين:

الكنية لفظ يبدأ بكلمة (أب) أو (أم)، وهو يسبق الاسم واللقب معاً في الترتيب اللغوي، وقد يُطلق للتكريم أو للتيمن والبركة، أو للتشجع والتقدير، "وقد كنَّى الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة، ومنهم سيدنا علي، فقد كناه بكنية (أبو تراب)، لشدة تواضعه وزهده، كما كنى عبد الرحمن بن صخر بكنية (أبو هريرة)، وكنى زوجاته المباركات ب (أمهات المؤمنين)، بل منهن من حملت كنيتين معاً، مثل (زينب بنت خزيمة) التي كنيت ب (أم المساكين) مع كنية (أم المؤمنين)".

وكانت كنية النبي صلى الله عليه وسلم هي (أبو القاسم)، وفيها جاء حديثه عليه الصلاة والسلام القائل: (**تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي**)، "وفي هذا وحده أدلة لا تنتهي على سنية الكنية واستحباب منحها لما فيها من الأسرار والمنافع، هذه الكنى ليست مستحدثات من المظاهر التي تعوق السائر، بل إن فيها روائح السنة المطهرة، وفيها معنى الترقية والدفع للإقبال على الله، والافتقار إليه والطلب منه، والاعتماد عليه والتعلق به".

ولذلك كان من الأمور الموروثة في فكر هذه الطريقة أن يقوم شيخ الطريقة بالتفضل على بعض مريديه بمنح كل واحد منهم كنية تناسب حال كل واحد، ليُعرف بها بين إخوانه، وهذا تقليد متبع في هذه الطريقة وحدها، ولم نجده في الطرق الصوفية الأخرى، ومن هذه الكُنى التي منحها الشيخ محمد زكي إبراهيم لبعض مريديه كنية (أبو الإخوان)، (أبو البصائر)، (أبو البركات)، (أبو التقى)، وغيرها.

لكن هذا التقليد لم يستمر، فعندما لجأت بعض الجماعات السياسية السرية المتطرفة إلى استعمال الكنية للتمييز بين أفرادها، "واتخذوا هذه الكنى للتغطية على أسمائهم الأصلية للأسباب المعروفة، توقف فضيلة الإمام الرائد عن منح الكنية؛ احتياطا وترفعاً عن مواطن الشبهات، حتى إذا صلحت الأيام عادت هذه التقاليد المباركة إن شاء الله".

9- عدم فرض ضرائب دورية على المريدين:

لم تفرض الطريقة المحمدية على مريديها ضرائب دورية سنوية أو غير سنوية، أو عوائد يسددها المريدون إلى شيخ الطريقة أو إلى الجهاز الإداري للطريقة، كما تفعل معظم الطرق الأخر، وهذا لا يعني أن أتباع هذه الطريقة لا يُساهمون ببعض أموالهم في الإنفاق على الطريقة، ولكنهم يدفعون هذه الأموال على أنها تبرعات طوعية اختيارية، يقول شيخ الطريقة: "لا بد من الإشارة إلى أنه ليس في طريقتنا على إخواننا ضرائب دورية، ولا مكوس مالية، ولا عوائد مادية، ولا اشتراكات عينية، وإنما هي تبرعات حرة واختيارية، لمن شاء أن يتعاون مع صندوق الإخوان الخيري على البر والتقوى؛ لمواجهة ما هو مفروض على الطريقة من أعباء ومسئوليات وخدمات دينية وأخوية وإنسانية، تجاه اليتامى والأيامى والفقراء والمرضى والعجزة، والمبتلين المحسوبين شرعاً على الطريقة، ثم لمواجهة ما لا بد منه من خيرات المواسم والمناسبات، وما لا رخصة فيه من الإنشاءات والصيانات والطواري والمفاجآت، قال تعالى: {**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}.

10- الانتشار في معظم بقاع أرض مصر:

ربما تعد الطريقة المحمدية الشاذلية أكثر الطرق انتشاراً في بقاع أرض مصر، فلا توجد طريقة لها فروع كثيرة في معظم محافظات مصر كما لهذه الطريقة، وربما كان ذلك راجعاً إلى ارتباط هذه الطريقة بالأنشطة التربوية والثقافية والسلوكية والاجتماعية والتنموية التي تقوم بها الطريقة، من خلال مجلة المسلم والمطبوعات والكتب الأخرى التي تصدرها هذه الطريقة، إلى جانب الدور التربوي التعليمي التثقيفي الذي تؤديه الطريقة، من خلال معهد إعداد الدعاة، وأكاديمية الإمام الرائد لدراسات التصوف وغير ذلك من الأنشطة الثقافية والتعليمية الأخرى، إلى جانب الدور الاجتماعي الذي تقوم به الطريقة ومعها العشيرة المحمدية، وهي التي تتمثل في إنشاء حضانات للأطفال والإشراف عليها، وإعداد دور لرعاية الأيتام، وغير ذلك من الأنشطة التي سوف يظهرها هذا البحث في موضع آخر منه.

هذه أهم الخصائص التي تميز هذه الطريقة عن غيرها من الطرق الأخرى، ويتضح من خلال هذه الخصائص انفراد الطريقة المحمدية الشاذلية بخصائص خاصة لا توجد في كثير من الطرق الصوفية، وجملة هذه الخصائص أنها تمثل إلى حد كبير التصوف الصحيح الراشد الذي كان الشيخ محمد زكي إبراهيم يسعى إلى تفعيل دوره في المجتمع، وهو التصوف الذي عبر عنه في مجمل مقالاته في مجلة المسلم، وفي مجمل كتبه ورسائله.

رابعاً: الجهود التربوية التي تقوم بها الطريقة المحمدية الشاذلية:

هناك نقاط التقاء متعددة بين الطرق الصوفية وبين التربية بمفهومها الحديث، فإذا كانت الطرق الصوفية ينبني فكرها على الجانب الخلقي، وتجعل الأخلاق محوراً لها؛ فإن التربية لها وظائف كثيرة، أهمها على الإطلاق الوظيفة الخلقية التي تسعى إلى تهذيب أخلاق الإنسان وتقويمها، والوصول إلى المستوى المطلوب من الكمال والجمال على قدر ما يُستطاع.

كما أن الطرق الصوفية وعملية التربية تتشابهان كثيراً في تنظيم العملية التربوية: "حيث كانت الطرق الصوفية تقيم أماكن للعبادة والتدريس تسمى الزوايا، وكان النظام في تلك الزوايا يشبه نظام المدرسة من حيث إلقاء الدروس، وقبول المريدين وتنظيم المعيشة لهم، حتى كانت الزاوية تسمى بالمدرسة؛ وذلك إيماناً من القائمين على تلك الزوايا بأهمية تنظيم العملية التربوية وتوفير سبل نجاحها".

والطرق الصوفية على اختلافها وتعددها تعد منظومة تعليمية مستقلة ومتكاملة، ولها أركانها المختلفة من المعلم (الشيخ)، والمتعلم (المريد)، ومحتوى التعليم (كتب الذكر والدرس)، وأمكنة ومؤسسات التعليم: (الرباطات والزوايا والخوانق).

هذا بالإضافة إلى أن العلاقة بين المريد والشيخ داخل الطرق الصفوية تشبه تماماً العلاقة بين الطالب والمعلم داخل العملية التربوية؛ فالمريد مطيع لشيخه وإمامه كل الطاعة إلا فيما يغضب الله تعالى، والمريد ملتزم بالعهد الذي أخذه عن شيخه، ولا يستطيع الفكاك منه، والشيخ على هذه الصورة كالأستاذ المعلم للطالب الذي لا يستطيع الاستغناء عن معلمه، وعلى المريد أن يلتزم بأوراد الطريقة وآدابها وقواعدها، وأن يواظب على تأدية العبادات، ويحرص على حضور حلقات العلم والذكر، كما يُحسن معاملته مع إخوانه في الطريق، وهذه كلها صفات لا بد من توافرها لدى طالب العلم، فهو مطالب بأن يلتزم بما يكلفه به أستاذه ومعلمه من التزامات وواجبات يؤديها ويقوم بها، وهو مطالب بحضور حلقات الدراسة العلمية كلها، ولا يهمل إحداها، كما هو مطالب بحسن معاملته لأساتذته وزملائه في عملية التعلم.

كما أن فكر الطرق الصوفية كان –قديماً– ينظر إلى العبادة لله على أنها تنطلق من مبدأ الخوف من الله تعالى، لكن هذا المنطلق تحول إلى مبدأ الحب لله والرجاء في كرمه وفضله، وقد أشار الإمام أبو

حامد الغزالي إلى هذا التحول بقوله: "اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف؛ لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم لله، والحب يغلب الرجاء".

ويُعد هذا التحول في فكر الطرق الصوفية انحيازاً كاملاً لمبدأ تربوي هام، هو مبدأ الحب في عملية التربية والتعليم، فالتربية القائمة على الحب أكثر فائدة وأعم نفعاً من التربية القائمة على الخوف؛ "فإن الخوف شعور مؤلم له آثار سيئة، ونتائج نفسية وسلوكية؛ إن لم تدمر الفرد فإنها تعطل قدراته، وتعوق مسيرة حياته الطبيعية، وليس ذلك التحول في مفهوم الدافع للسلوك بغريب على رواد التصوف الإسلامي الذين كانت لهم تحليلاتهم النفسية المتعمقة، التي قصدوا من ورائها إتقان علمية التربية الخلقية لأتباعهم".

ومما يؤكد ارتباط الطرق الصفوية بعملية التربية قديماً وحديثاً أن الرواد الأوائل للتصوف والطرق الصوفية أسهموا وأفاضوا في كتبهم الصوفية التربوية التي تعد زاداً لا غنى عنه في عملية التربية الصوفية الراشدة، ومن هذه المؤلفات مثلاً كتاب (رسالة المسترشدين) للحارث المحاسبي، وهو "رسالة لطيفة الحجم، يوجه فيها المحاسبي الإرشاد للمسترشدين الذين يريدون أن يكونوا من ذوي الألباب العالمين بالله وبأمره...، والرسالة إنما هي إرشادات تتحدث عن التوبة، والتقوى، والخطرات، والخوف من الله، والصبر، والرضا، وغير ذلك من أحوال اللائذين إلى الله، السالكين إليه" (111)، وللمحاسبي كذلك (كتاب الوصايا) المسمى: (النصائح الدينية والنفحات القدسية لنفع جميع البرية)، وهو أيضاً في التربية الصوفية.

وغني عن الإيضاح والبيان الإنتاج التربوي الصوفي المتميز للإمام أبي حامد الغزالي، وهو الذي يعد من أشهر رجال التربية في التاريخ الإسلامي، كما يعد من رواد الفكر الصوفي الإسلام؛ حيث له في هذا المجال كتاب (إحياء علوم الدين) الذي يعد مرجعاً أساسياً في التربية الصوفية، وله أيضاً رسالة (أيها الولد) التي تعد رغم حجمها الصغير أساساً لكل صوفي مرب، ولا يقتصر هذا الإنتاج التربوي الصوفي على ما مضى من قرون العصور السابقة، بل إنه مستمر حتى عصرنا الحاضر.

كما توجد وشائج وصلات قربى في المصطلحات التربوية بين فكر الطرق الصوفية والتربية بمفهومها المعاصر، حيث نجد في ميدان الطرق الصوفية مصطلحات مثل: الأستاذ، التربية، المنهج، الطريق، التلميذ، المدرسة، الخبرة، الغاية، الهدف، الوصول، الآداب، الأخلاق، النتيجة، الوسيلة، وكلها مصطلحات تربوية تدور على ألسنة علماء التربية في العصر الحديث، "كما شاع بين الصوفية

مصطلحات تدل على عمق العلاقة بين الشيخ والمريد، فسموا بداية الرباط بالعهد، البيعة، التحكيم، الطريق، إلخ، وهي في مجملها ألفاظ لها دلالات تربوية وسلوكية عميقة، تعني ابتداء الرابطة بين المريد السالك والشيخ الكامل".

وإذا كانت الطرق الصوفية قديماً قد قامت بدور كبير في تربية الإنسان المتصوف وتهذيب خلقه على الرغم من وجود شوائب كثيرة بهذا الفكر؛ فإن الطرق الصوفية في العصر الحاضر مطالبة بأن تسير على نفس النهج، مجانبة لكل شوائب الماضي، لأن العصر الحاضر وظروفه تستدعي مزيداً من ضرورة التربية والتهذيب للنفس الإنسانية.

"إن صوفية هذا العصر يجب عليهم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم أولاً، ثم بشيوخهم السابقين، وليهتدوا بهديهم في أعمال الخير والبر التي تنفع الإسلام والمسلمين، فلو أن كل صوفي نظر إلى ما قام به أسلافه في شأن خدمة الناس والعمل على راحتهم؛ لقام هو أيضاً بالاقتداء بهم، وبصَّر الناس بطريق العمل الجاد والخير العميم، أما إذا تكاسل الصوفي فقد تقاعس عن المنهج الذي أوضحناه، ولم يكن من أهل الصدق والحق، لأنه تأخر عن خدمة وطنه ومجتمعه".

إن الطرق الصوفية في العصر الحاضر مطالبة بأن يكون دورها أكثر أثراً، في ظل مجتمع يحتاج إلى المساهمة في تعليم أفراده، وتهذيب أخلاقهم، وإلى بذل الجهد الكبير في توفير سبل الحياة فيه لهم؛ فالطرق الصوفية جزء من نسيج هذا المجتمع، ولا بد أن يكون لهذا الجزء دور في بناء هذا المجتمع، في ظل الظروف التي يموج فيها المجتمع بتيارات فكرية متضاربة، وتنتشر فيه أو تكاد أمراض عضوية قاتلة، لا تخفى على ذي عين.

وتعد الطريقة المحمدية الشاذلية من الطرق ذات الأثر الكبير في عملية التربية الصوفية في العصر الحاضر، إن لم تكن أكثرها على الإطلاق في هذا المجال، حيث ترى الطريقة أن "التربية الروحية الإسلامية الجامعة هي الوسيلة الوحيدة الأكيدة لإيقاظ حيوية الأفراد والجماعات والشعوب والحكومات، وإنقاذ هذه الإنسانية الضالة الهائمة وتوجيهها وجهة السمو الطبيعي، وتحصينها ضد كل انقلاب واضطراب، وهي الدعامة الأولى والأخيرة في بناء كل نهضة وإقامة كل إصلاح، وهي دواء كل داء، فكل جنوح دون ذلك جموح، وكل تجريب بعد ذلك تخريب".

ويأتي التنظير الفكري للعشيرة المحمدية التي هي الشكل الإداري للطريقة المحمدية؛ يأتي مؤكداً دور هذه الطريقة في مجال التربية؛ حيث تعمل هذه العشيرة على "الاستمساك بصميم التربية الإسلامية الخالصة علمية وعملية روحية وتعبدية، في أصولها وفروعها الخاصة والعامة بكل ما يشمله هذا المعنى، ويدخل فيه كل ما تواضع عليه الصوفيون من تربية ومجاهدة وذكر وفكر وعبادة على جميع أنواعها وأقسامها المشروعة".

ولتحقيق هذا الهدف التربوي يمكن إجمال الدور التربوي للطريقة المحمدية الشاذلية فيما يلي:

1- الاهتمام بتربية المريد:

تهتم الطريقة المحمدية بتربية المريد تربية يزداد بها قرباً من الله تعالى، وذلك بتقوية صلته بالله، "فلا يستغيث إلا بالله، ولا يخاف ولا يرجو إلا الله، ولا يطلب ما يطلب إلا من الله، وهو يعلم أن الله هو القادر الفعال القاهر وحده لا شريك له، فإذا توسل فهو يسأل الله وحده".

وتنطلق الطريقة المحمدية في عملية التربية من التصوف الذي يعد قيمة ومذهبا ودعوة، أساسها "الكتاب والسنة، وهو أصل أصيل في الدين، من حيث إنه الجانب الروحي الرباني العاطفي الأخلاقي القائم على تربية النفوس وسوقها إلى الله، وتخليصها من رعونات الحيوانية واللصوق بالتراب، والاعتصام بالرذيلة، وعبادة المادة، وهو العامل الوحيد على تنقية البواطن، والارتفاع بمستوى البشرية ودفعها إلى معالي الأمور".

إن هدف التصوف لدى الطريقة المحمدية هو إصلاح الفرد، ولا يتم ذلك إلا بإصلاح قلبه، ولا يقوم بذلك إلا التربية التي تعالج "نفسية الإنسان وتعالج أخلاقه وروحانياته وجسمانياته، حتى يتخلى عن كل دنيّ، ويتحلى بكل سني، وسبيل كل ذلك عبادة الله على علم، فالعبادة أساساً أصل الفضيلة، والفضيلة أصل المجد؛ مجد الدنيا والآخرة، ... وبصلاح الأفراد يصلح المجتمع، فمع كثرة الصالحين واجتهادهم في دعوتهم ومثابرتهم وانتشارهم تتحقق التقدمية الإسلامية والإصلاح السلمي".

وتبدأ عملية تربية المريد بالتوبة من ذنوبه التي سلفت منه قبل انخراطه في سلك هذه الطريقة، بل إن التوبة مطلوبة من المريد كل يوم وكل ليلة، "فالصوفية كلهم يبدؤون من التوبة، وكلهم ينتهون إلى المعرفة، وكلهم يلتمسون الكمال، وكلهم يتوسلون إليه بالعبادة، وكلهم يطالبون الله بما يكون منهم من

قول أو عمل أو حال، وكلهم يجعلون خدمة الدنيا سبيلاً إلى وراثة الآخرة، أما اختلاف أسباب السلوك والتربية والتعبد في الحد المشروع، فمما وسعه دين الله، وكلها راجع إليه".

يعقب التوبة في عملية تربية المريد الاستغفار والصلاة على النبي والدعاء بالخير لنفسه ولجميع المسلمين، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "يبدأ الأخ بالتوبة مما فرط منه من إثم عمداً أو سهواً أو خطأ، ظاهراً وباطناً، والأفضل أن يكون ذلك مساء، قبل النوم، ثم يقرأ الفاتحة بنية طلب الخير الجامع له ولأهله ولأشياخه ولإخوانه المسلمين، ثم بعد هذا يستغفر الله تعالى بأية صيغة شرعية توافق روحانياته، والأفضل الاستغفار الوارد في ختام الصلاة، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بأية صيغة شرعية روحانياته، الأفضل الصلاة الواردة في ختام التشهد، ثم يدعو الله بما شاء من الخير له ولأهله وأشياخه وإخوانه، ويتوسل إلى الله في القبول والرضا وقضاء الحاجات ببركة أشياخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالفاتحة، ويحاول ألا يترك هذا الورد أبداً".

ويلتزم المريد بعد ذلك بأوراد يومية، وآداب خلقية يلتزم بها في أوقاتها؛ حفاظاً على استمرار عملية التربية؛ حيث يلتزم بآداب محددة في التعامل مع إخوانه في الطريق، ويلتزم بآداب محددة مع شيخه في الطريقة، فيحترمه ويجله ويوقر مقامه، بل يستشيره في كل ما يهمه من شئون الدين والدنيا المباحة، فالشيخ بالنسبة للمريد كالوالد لولده، يستنير برأيه، ويستنصحه، ويُغلب رأيه على رأيه.

2- توجيه جهود الطريقة إلى خدمة المجتمع:

إذا كانت التربية تسعى في هدفها الأول إلى إصلاح الفرد وخدمة المجتمع لتحقيق حياة سامية للإنسان؛ فإن جهد هذه الطريقة المبذول يعد من مظاهر التربية الواضحة؛ لأن هذه الطريقة لا تتخذ من التصوف سبيلاً للانزواء عن المجتمع أو الانعزال عنه، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "إن الصوفي الذي نعنيه هو المحمدي المثقف، المتفقه، الدائب العمل، لتكملة نفسه حسياً ومعنوياً، الذي يمارس عمل الدنيا كما يمارس عمل الآخرة، في إخلاص، وتضحية، وإيمان، وعمق، وتطوير، وتقدميه، كعبادة أساسية وقصود بها هنا وهنا وجه الله أولاً وقبل كل شيء؛ فوجوده في المصنع والمكتب كوجوده في المسجد والخلوة، يعامل الله، ويؤدي رسالة المحمدي الإنسان في خلافة الله على الأرض"، بل يجعل الشيخ للانتفاع بالتصوف في أمور الحياة خطوات محددة، منها: "إدماج التصوف في الحياة؛ فإن من طبعه

الاندماج والتوجيه والقيادة وتوسيع رقعة الدعوة به وإليه، والدفاع عن حرمه بكل ما في الإمكان، وتيسير أسباب تفاعله وانتشاره، وتجميع قادته من المسلمين في كل مكان في العالم".

وعلى هذا يعد جهد هذه الطريقة صورة واضحة من أدوارها التربوية بالمعنى العام الشامل لمفهوم التربية، ذلك المفهوم الذي يعتمد على أن التربية هي الوسيلة الأولى الفعالة لتوفير الاستقرار في المجتمع، وهي الوسيلة الأولى لتحقيق التقدم في المجتمع.

2- قيام المساجد التابعة لهذه الطريقة بأدوارها التربوية في التهذيب والإصلاح:

يعد المسجد هو المؤسسة التربوية الأولى في تاريخ الإسلام، "بل يعتبر المعهد الأول لنشر العلم ومكان التربية والتعليم في العالم الإسلامي، ... فلم يقتصر المسجد على وظيفته التقليدية المتمثلة في أنه مكان تقام فيه الصلوات الخمس في أوقاتها، وتعقد فيه مجالس للعلم والوعظ والإرشاد وتعليم القضايا الدينية البحتة"، بل أصبحت المساجد مع تطور الحياة وحاجة الإنسان المسلم إلى العلم والتعلم دوراً لتعليم العالم للناس، وتهذيب أخلاقهم، وتنمية الحياة البشرية عامة.

ومع ظهور الطرق الصوفية ازدادت حاجة هذه الطرق إلى المساجد لتكون مقرات ودوراً لنشر فكر هذه الطرق، بل وُجد مع المساجد الزوايا والرباطات والخوانق والخلوات، وكلها دور وبيوت وأماكن تُمارس فيها الممارسات والتقاليد الصوفية المعروفة، ويمتلئ تاريخ الطرق الصوفية بأخبار كثيرة عن مساجد مشهورة قامت بأدوار كبيرة في نشر فكر هذه الطرق وانتشارها.

وللطريقة المحمدية مسجد أساس هو الذي انطلقت منه دعوة هذه الطريقة، هو (مسجد المشايخ) الكائن بحي (قايتباي) في مدينة القاهرة، وهو مرقد أقطاب الدعوة المحمدية، به دفن الشيخ محمد زكي إبراهيم، وقبله دفن به أيضاً أبوه وجده، وهو المقر الدائم للطريقة المحمدية وللعشيرة المحمدية أيضاً، وبه تعقد مجالس الذكر وحلقات العلم، وبه مجلس أهل الصفة، وملحق به المكتبة الإسلامية الكبرى التي أسستها الطريقة، ويلي هذا المسجد في القيام بالدور التربوي المنوط بهذه الطريقة (مسجد أهل الله) في منطقة برقوق، ثم (مسجد مجمع العشيرة) الكائن بمنشية ناصر بالقاهرة، ثم (مسجد جامع البنات) في القاهرة، ثم يلي ذلك كل مسجد يُنسب إلى المحمدية في كل مكان من أرض الله، وتزداد مع مرور الوقت أعداد المساجد التابعة للطريقة المحمدية في أرض مصر كلها، مؤدية دورها على الوجه الذي يُرضي الله تعالى، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم في الكلمة التي ألقاها إلى مريدي طريقته في الاجتماع

السنوي للجمعية العامة للعشيرة المحمدية، وهو الاجتماع المنعقد في عام 1962م: "مساجدكم بحمد الله تزيد ولا تنقص، وفي غير جلبة ولا ضوضاء ولا تهريج، ولا شعوذة، تنتشر دعوتكم في الأوساط المختلفة، وبخاصة في الوسط المتعلم، وفي وسط الطلاب والطالبات، وخطبكم ودروسكم في المساجد والزوايا وفي الحلقات المختلفة دروس مستمرة منتظمة، يتطوع لأدائها كثير من إخوانكم؛ علماء الأزهر وخريجي الجامعات، وغيرهم من المحمديين الأكفاء المخلصين".

4- إقامة الندوات وإلقاء المحاضرات في المناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية:

تعد هذه الندوات صورة من صور الدور التربوي الظاهر لهذه الطريقة، يقول الشيخ: "وهذه محاضراتكم الليلية والنهارية بالنوادي ومراكز الثقافة وبيوت الله الكبرى"، ويقول في موضع آخر: "ومحاضراتكم في القاعات والنوادي والحلقات القرآنية وحلقات العبادة الدورية، وأحفالكم الكبرى بأشهر مساجد القاهرة في المناسبات المختلفة، ونشاط حلقة الشعراء المحمديين في التجمعات المتعددة، ورحلاتكم الثقافية والروحية إلى الأقاليم، ونشاط قسم السيدات الثقافي، ونشاط حلقات الفتيات والفتيان، وحفلات الاستقبال والتكريم والتأبين، ومشاركاتكم الكبرى في المجامع الثقافية والدينية، مع الهيئات والشخصيات العاملة في الحقل الديني والفكري".

ومعلوم لكل صاحب عقل ما لهذه الندوات والمحاضرات من أثر تربوي كبير؛ لأنها ملتقى فعال بين مريدي الطريقة، يتبادلون فيه المعارف والخبرات، ويقتدي بعضهم بالبعض الآخر في كل خير وحَسَن، يتعلم فيها الصغير قيمة احترام الكبير والسماع له، وتقدير العلماء والشيوخ وأصحاب السبق في مجال السير في الطريق إلى الله تعالى، كما أن هذه اللقاءات تكون فرصة عظيمة لتزايد التعارف بين أبناء الطريقة الواحد من بلاد وأصقاع مختلفة متباعدة، وقد لمس الباحث نفسه ذلك، ورآه رأي العين، وعايشه معايشة مباشرة، واستفاد به أعظم استفادة.

5- الرحلات الروحية والاجتماعية والثقافية:

وهذه هي الأخرى وسيلة هامة من وسائل التربية لدى هذه الطريقة؛ حيث يقوم مريدو الطريقة برحلات روحية واجتماعية وثقافية متتابعة في البلاد المختلفة؛ وذلك للتعارف والتناصح وتبادل الدروس والخبرات والأحوال، وربما يقوم شيخ الطريقة نفسه بهذه الرحلات مع مريديه؛ إما لإلقاء محاضرة أو درس،

أو عقد ندوة صوفية تربوية، أو لقضاء واجب العزاء، أو أي واجب اجتماعي آخر، وقد شهد الباحث بعض هذه الرحلات ولمس أثرها التربوي الكبير على أتباع الشيخ ومريديه.

6- إقامة قاعات مخصصة للاستذكار والمدارسة والعلاجات النفسية والتربوية:

يعد هذا الجانب من الأدوار التربوية الهامة التي تقوم بها الطريقة المحمدية ومعها العشيرة المحمدية، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "وللعشيرة بحمد الله مساجدها وزواياها وقاعات الاستذكار، والمكتبات التي تشرف عليها، فضلاً عن الدروس والمحاضرات الخاصة بالرجال والنساء، والدروس المخصصة لتقوية الطلبة والطالبات".

7- إصدار مجلة المسلم:

أصدرت الطريقة المحمدية مجلتها التربوية الصوفية (المسلم)، منذ أكثر من سبعين عاماً لخدمة مقاصد هذه الدعوة الشريفة الفريدة، حين لم يكن في العالم الإسلامي كله مجلة سواها تؤدي رسالة التصوف الإسلامي الحق، وتكافح الدخيل والمدسوس، وتقارع المبتدعات والمناكر، التي تسللت إلى الحظيرة الصوفية الطاهرة، وتدفع عنها حملات التشويه والتخريب والتدمير المسعورة، فكانت هذه المجلة غوثاً من الله للرسالة الصوفية، وأيقظت المدارك، ونشرت المعارف الصحيحة، وأعادت إلى التصوف الإسلامي اعتباره، ورفعت رؤوس قادته ومريديه، وأحدثت صحوة قوية يسير الكل على هديها الآن، وحفظت تاريخ عصرها الصوفي.

وكان الهدف الأصلي لهذه المجلة هو الدفاع عن جانب أصيل في الفكر الإسلامي، هو جانب التصوف الراشد الموافق لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "لم تكن المسلم منذ كانت مجرد مجلة إسلامية لنشر المعارف الدينية أو الثقافية العامة؛ فإن ذلك أهون من أن نكرس له جهداً، أو أن نبذل فيه وقتاً أو مالاً، إذ إنه سيكون نسخة مكررة من عمل موجود بالفعل، ليس من ورائه إلا التخمة أو المنافسة بلا موجب، ولو من جانبنا على الأقل، ولكن (المسلم) وُلدت لتحمل إلى الجماعة الإسلامية دعوة جديدة، هي في أشد الحاجة إليها، ولتؤدي رسالة مظلومة مهملة، وتملأ فراغاً معيناً خطراً".

وتعتبر مجلة (المسلم) أول مجلة صوفية تدافع عن التصوف الراشد، وتهتم أيضاً بالتربية الأخلاقية الصوفية اهتماماً كبيراً، فهي قد "جعلت وظيفتها: بعث الوعي الإسلامي الناهض بالدعوة الروحية

الإصلاحية، ولذلك احتوت أول ما تحتوي تصوف المسلمين، والصوفية هم الأكثرية الكاثرة في أهل القبلة جميعاً، ... كما تركز المجلة مع كل ذلك جهداً هائلاً لمكافحة اللاأخلاقية والتهتك والاستهتار والتقليد الأجنبي، سواء أكان للمظاهر أم للأفكار، فبقدر ما ترصد المسلم حركة الأخلاق ترصد التطور الفكري سواء كان وافداً أم نابعاً من خلايا السرطان الأجنبي الكامن في الجسم العربي بسبب أو بآخر"، وهي مجلة تربوية بالمفهوم العام لكلمة (التربية)، يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: "إنها مجلة تربية وتوجيه، وكفاح وتبصير، وتسجيل وتفتح، وتاريخ، إنها مجلة دعوة نظيفة، لا يستطيع القارئ وقد بدأها قراءة أن يلقيها حتى يفرغ من آخر ورقة فيها، وهي كذلك مجلة متطورة، مادة وإخراجاً، ومسايرة لعصر السرعة والاستخلاص والحركة".

لقد اهتمت مجلة (المسلم) في أعدادها المتتابعة بقضية تربية المريد تربية يسمو من خلالها إلى مدارج الكمال، كما أنها قد عالجت كل شئون الحياة، حيث "تكلمت عن المجتمع، والأغاني والمصايف والسينما والاختلاط والمسارح والكباريهات، والتجديد والتقدمية، ومشاكل الزواج والطلاق، والأمومة والأبوة، وتعدد الزوجات، بجوار ما تكلمت عن العالم الصوفي ورجالاته وروحانياته وتواريخه... إلخ، فكانت فعلاً مع الناس".

لقد قامت مجلة المسلم ولا تزال تقوم بدور لا يُنسى في مجالها، وحسبها أنها كانت أول مجلة صوفية تربوية، تدافع عن التصوف الراشد النابع من القرآن الكريم والسنة النبوية، ورغم أنها تعثرت في بعض الأوقات لأسباب مادية بحتة، إلا أن هذا زادها دفعة وقوة وإصراراً، وزاد القائمين على أمرها إيماناً بدورها وقناعة بأهمية رسالتها، ومع تغير مشيخة الطريقة المحمدية من مؤسسها الشيخ محمد زكي إبراهيم إلى ولده الشيخ محمد عصام الدين زكي، ومع تغير ظروف المجتمع المصري، بل المجتمع الإسلامي كله، ومع تطور وسائل وآليات الصحافة المطبوعة والمقروءة تطورت المجلة، فأصبحت تعالج موضوعات جديدة، وأصبح حجمها وعدد صفحاتها أكبر وأكثر فائدة، وأصبحت أكثر انتشاراً، بل أصبح لها موقع على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، ويعلم الله أنها كانت من بين المصادر التي نمت الزاد الفكري والإسلامي والصوفي عند الباحث نفسه، حتى إنها كانت بالنسبة له مدرسة علمية تربى على صفحاتها، وتغذى بعلمها، وتهذب بأخلاقها.

8- عقد دروس وندوات دينية للسيدات:

من المعلوم لدى كل مسلم أن المرأة لها دور كبير في الإسلام، لا ينكره إلا جاحد منكر، ومن المعلوم أيضاً أن الإسلام كرم المرأة أعظم تكريم، وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة، ولهذا اهتمت الطريقة المحمدية بالمرأة رعاية وتثقيفاً وتهذيباً وتفعيلاً لدورها؛ لأن هذه المرأة المسلمة "بما ظهر على مر القرون من فضلها، وعظمة دورها، وقوتها، وصبرها على تحمل الشدائد، قد استهدفها أعداء الإسلام، يتربصون بها وبكل مسلم الدوائر، ويدبرون المكايد، بما يبثون عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وينشرون من دعوات التبرج والسفور والاختلاط والتحرر والتحلل، باسم الحرية والمدنية والحضارة، إلى ما هو أخطر من ذلك من دعوات البغاء والرذيلة والفواحش علانية أفراداً وجماعات".

وفي مواجهة هذا المد الجارف من صور الفساد وأشكاله التي يريدها أعداء الإسلام بالمرأة المسلمة باعتبارها هي نواة المجتمع المسلم وأساسه، وفي مواجهة دعوات التحرر والتفسخ الأخلاقي الزاحف بقوة على المجتمع المسلم، كان لا بد للطريقة المحمدية أن تقوم بدور كبير في حماية هذه المرأة المسلمة من هذا الفساد، لذلك اهتمت الطريقة بتثقيف المرأة المسلمة وتهذيبها، وتعريفها بدورها في المجتمع المسلم، وبأهمية هذا الدور، فهو دور لا يقل عن دور الرجل، وذلك من خلال إنشاء قسم خاص بالسيدات والفتيات المحمديات داخل الطريقة المحمدية، ومن خلال تخصيص قسم خاص بالمرأة داخل مجلة (المسلم)، يحرره عدد من الفتيات المحمديات، يناقشن فيه كل ما يخص المرأة من أمور الدين والدنيا.

هذا إلى جانب الندوات والدروس التي تُعقد للمرأة، حيث تعقد الطريقة المحمدية ومعها العشيرة المحمدية بالمركز الرئيس بمسجد المشايخ بحي (قايتباي) دروساً دينية متخصصة للسيدات، بغرض تعليمهن أمور الدين، ويأتي بيان هذه الدروس والندوات على النحو التالي:

- في يوم الخميس من كل أسبوع يعقد درس للسيدات المثقفات بالمجمع الإسلامي للإمام الرائد، من قبل صلاة الظهر بساعة إلى صلاة العصر، يحضره أكثر من 100 سيدة أسبوعياً.
- في يوم الثلاثاء من كل أسبوع تعقد دروس دورية منتظمة لمحو الأمية الدينية والروحية والثقافية للسيدات الشعبيات، وذلك بالمركز الرئيس بمسجد المشايخ بالمجمع الإسلامي للإمام الرائد، من قبل صلاة الظهر بساعة إلى صلاة العصر، يحضره أكثر من 150 سيدة أسبوعياً.

- في يوم الثلاثاء أيضاً من كل أسبوع تعقد دروس دورية منتظمة لمحو الأمية الدينية والروحية والثقافية للسيدات الشعبيات ب (مجمع الدويقة)، يحضر فيها أكثر من 150 سيدة أسبوعياً.
- هذا علاوة على درس الجمعة الأسبوعي بعد صلاة الجمعة بالمركز الرئيس بمسجد المشايخ بالمجمع الإسلامي للإمام الرائد، وجميع مساجد العشيرة بالقاهرة والأقاليم، وذلك لأتباع الطريقة من الرجال والنساء والشباب والفتيات، من غير اختلاط بين الجنسين.
- بالإضافة إلى الدروس المتخصصة لكل من الشباب والفتيات المحمديين والمحمديات، كل على حدة.
- هذا علاوة على الدروس الدورية الأسبوعية المنتظمة بجميع مساجد العشيرة بالقاهرة والأقاليم في المناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية المختلفة.

ولا شك أن هذه الدروس والندوات ذات أثر تربوي كبير، لأنها مجال للمعرفة الإسلامية، والتثقيف الديني، وغرس القيم الأخلاقية السامية، وتنمية قيم الخير لدى الفرد، ومحاربة ومواجهة قيم الشر والفساد لديه، وهذا هو الدور الذي تغيب كثيراً في عصرنا الحاضر، وتخلت عن القيام به المؤسسات المنوط بها هذا الأمر، من الأسرة والمنزل، والمدرسة، والكُتَّاب، ووسائل الإعلام، وجماعة الرفاق، والقدوة الحسنة وغير ذلك.

9- عقد المؤتمرات الصوفية:

تعقد العشيرة المحمدية اللقاءات، والندوات والمؤتمرات، الثقافية والعلمية والروحية المتكاملة، محلية ودولية، والتعرف على زعماء الصوفية الشرعية في العالم، وتبادل الآراء والمؤلفات والرسائل، في محاولة لتكتيل هؤلاء الملايين من السادة في جامعة عالمية، تكون نواة بإذن الله في طريق الوحدة الإسلامية المأمولة، والانتفاع بهذه الكثرة العالمية في خدمة الإسلام والمسلمين.

كما تقوم الطريقة المحمدية كل عام بعقد (المؤتمر الصوفي السنوي) اعتباراً من عام 1419 من الهجرة، الموافق لعام 1999 من الميلاد، وحتى الآن، وما زالت بحمد الله تحافظ على عقد هذا المؤتمر

سنوياً، والإعداد والتحضير الكامل له ولبرنامجه التفصيلي، ولأعمال لجانه ولموضوعاته، وحلقات البحث والإشراف عليه، ومتابعة أعماله.

كما تعقد الطريقة المحمدية ومعها العشيرة المحمدية الندوات والمؤتمرات في مختلف الاحتفالات والمناسبات الدينية والقومية، ويتم ذلك بالمركز الرئيس للعشيرة بالمجمع الإسلامي بقايتباي بالقاهرة، وكذلك بالمساجد الكبرى، مثل مسجد الإمام الحسين، ومسجد السيدة زينب، ومسجد السيد أحمد البدوي بطنطا، ومسجد الفتح بميدان رمسيس، ومسجد النور بالعباسية بالقاهرة وغيرها، هذا علاوة على الندوات التي تقيمها فروع العشيرة بالقاهرة والأقاليم.

ومعلوم أن الطريقة المحمدية قد كان لها السبق في عقد أول مؤتمر من نوعه في العالم، وهو (مؤتمر تطبيق الشريعة الإسلامية)، وذلك في سبيل الخدمة الإسلامية الجامعة، وقد عُقد هذا المؤتمر في مدينة القاهرة، وكان الهدف من وراء عقده هو المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وقد أشرف على تأسيس وتنظيم وإدارة هذا المؤتمر في حينه الشيخ محمد زكي إبراهيم، كما اشترك معه في مناقشة الموضوعات المطروحة في المؤتمر عدد كبير من العلماء العاملين الذين تركوا بصمات واضحة في مجال التصوف الراشد، منهم الإمام الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر في وقت عقد هذا المؤتمر، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ حسنين مخلوف.

"وقد كان مؤتمراً فريداً نادراً، على أحدث النظم المعاصرة، وقد اشترك فيه الأزهر، ووزارة الأوقاف، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ودار الإفتاء، ولجنة الفتوى بالأزهر، والجمعيات الإسلامية الكبرى، والطرق الصوفية الشرعية، والشخصيات الإسلامية، وجماهير لا تحصى من الطلبة والعمال والسيدات المثقفات، من القاهرة والمحافظات المختلفة، لمدة ثلاثة أيام متوالية، وشاركت فيها الصحافة والإذاعة والتليفزيون، وقام بالخدمات وحفظ النظام شباب العشيرة ورجالها، تحت إشراف شيخ الطريقة الشيخ محمد زكي إبراهيم".

ومن بين وأهم المؤتمرات التي أقامتها وأشرفت عليها الطريقة المحمدية، ذلك المؤتمر الذي عقد في شهر نوفمبر من عام 2011م، وشاركت فيه هيئات علمية ومؤسسات إسلامية عالمية كبرى، منها مؤسسة الأزهر الشريف، ووزارة الأوقاف المصرية، ودار الإفتاء المصرية، ومؤسسات إسلامية عالمية

أخرى، كما شارك عدد فيه من الطرق الصوفية داخل مصر وخارجها، وشخصيات إسلامية صوفية من مصر وخارجها أيضاً، ودارت أبحاث المؤتمر ومناقشاته حول موضوع: (التصوف منهج أصيل للإصلاح).

10- إصدار مجلة البحوث والدراسات الصوفية:

مجلة البحوث والدراسات الصوفية مجلة دورية علمية محكمة، تُعنى بقضايا التصوف والسلوك، وقد صدرت في عهد الشيخ الثاني للطريقة المحمدية؛ الشيخ محمد عصام الدين زكي، حيث صدر العدد الأول منها في شهر جمادى الآخرة من عام 1424هـ الموافق لشهر أغسطس من عام 2003م، ويتولى الإشراف عليها لجنة علمية، تتكون من عدد من العلماء الأجلاء من مصر وغيرها من الدول الإسلامية، وتهتم المجلة في المقام الأول بالتصوف، والتربية الصوفية بخاصة، يقول المستشار العلمي للمجلة، الدكتور محمد مهنا في افتتاحية العدد الأول منها: "كانت الحاجة ماسة إلى إصدار مجلة علمية محكمة، تناقش قضايا التصوف في ضوء قواعد العلم، ولا تنتصر إلا لما يؤيده البرهان، ويدعمه الدليل".

وقد جعلت المجلة التربية الصوفية هدفاً هاماً من أهدافها، لذلك اهتمت بنشر الأبحاث التي تتناول الجانب التربوي الخلقي للتصوف الراشد، يقول الدكتور عبد الحميد مدكور في العددين: الثالث والرابع، الصادرين معاً في عام 2007: "أما الصوفية فإنهم قد تميزوا على غيرهم من حيث عنايتهم بالأخلاق ودراساتهم الكثيرة حولها؛ نظراً لأهميتها عندهم، بحيث يمكن القول بأن الأخلاق تتخلل كل جانب من جوانب التصوف، وتمتد إلى كل زاوية من زواياه، وقد عرف بعض الصوفية التصوف تعريفات تلاحظ جانب الأخلاق فيه، كما لاحظوا الأخلاق فيما يدعو إليه التصوف من مجاهدة النفس ومقاومة لنزعاتها وأهوائها، ثم فيما تسعى إليه التربية الصوفية من صبغ النفس بصبغة أخلاقية جديدة، تحل الأخلاق الفاضلة فيها محل الأخلاق التي تخلت عنها النفس بالمجاهدة، ويظهر ذلك فيما أطلق عليه الصوفية: التخلي ثم التحلي".

11- إنشاء المركز الصوفي العلمي:

أنشأ هذا المركز الشيخ محمد زكي إبراهيم، والمركز هو "هيئة علمية منبثقة من العشيرة المحمدية، بمقتضى ما لها من حق مزاولة الأنشطة العلمية والثقافية، حسب قرار إشهارها كجمعية تحت رقم (675)، طبقاً لأحكام القانون رقم (32) لسنة 1964م، والقرار الجمهوري رقم (750) لسنة 1968م، ويعتبر أعضاء المركز ولجانه أعضاء في العشيرة المحمدية، ويهدف المركز إلى إحياء التصوف في

الأمة، ونشره على كافة مستوياتها، وبين كل فئاتها، وفي مختلف أوجه أنشطتها بكل ما يحمله من حب، وأدب رفيع، وروحانية، وإسلام، وتقدم، وحضارة، وبر، وإخلاص، وإخاء، وتعاون، والدفاع عنه، ورد الشبهات التي تثار حوله، وترشيد دعوته، وكشف أدعيائه، وإقامة الحجة على من يعادي التصوف".

12- إنشاء الأكاديمية العالمية لدراسات التصوف وعلوم التراث:

أسس هذه الأكاديمية الشيخ محمد عصام الدين محمد زكي إبراهيم، وقد تم الإعداد لها، وتم وضع لائحتها ومناهجها ونظمها، وقامت الطريقة المحمدية، ومعها العشيرة المحمدية ببدء نشاط الأكاديمية والدراسة فيها، من خلال معهد الدراسات الصوفية والدعوة، والكلية الصوفية خلال عام 1425هـ، الموافق لعام 2004م.

وتعتبر الأكاديمية العالمية لدراسات التصوف وعلوم التراث هي الأولى من نوعها في العالم، وهي تهدف إلى تعميق الدراسات الصوفية في كافة أنواع العلوم الإسلامية والإنسانية والاجتماعية والطبيعية وغيرها، وكذلك استلهام الأبعاد الغيبية للعلوم الحديثة، لربط الدنيا بالدين والعقيدة بالعمل، كما تعتبر الأكاديمية نواة لتجميع الملايين من السادة الصوفية، على طريق الوحدة الإسلامية المأمولة إن شاء الله.

وتتكون الأكاديمية العالمية لدراسات التصوف وعلوم التراث من الكلية الصوفية للدراسات الإسلامية والعربية، المعهد العالي لعلوم التراث، معهد الدراسات الصوفية والدعوة، معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها، معهد الخطوط العربية، معهد الفنون الهندسية الإسلامية، مركز المعلومات الصوفي الإسلامي.

13- إنشاء المكتبة الصوفية:

سعت الطريقة المحمدية إلى إنشاء مكتبة صوفية كبرى، لتكون مرجعاً لأتباع الطريقة، بل لكل الصوفية المخلصين في السير إلى الله تعالى، وتم إنشاء المكتبة بالفعل، وهي زاخرة بعدد كبير من كتب التصوف وبغير كتب التصوف من المعارف الإسلامية الأخرى، وهي كائنة بمقر الطريقة المحمدية في حي قايتباي في القاهرة، وقد زار الباحث هذه المكتبة، ورأى فيها كثيراً من كتب التصوف وكتب التراث.

ويتم التوسع في أنشطة المكتبة مع مرور الأيام، من حيث زيادة الكتب والمراجع الموجودة بها، أو من حيث تبويبها، أو استخدام أجهزة الكمبيوتر في تبويب موضوعاتها وفهرسة الكتب فيها على أبواب

العلوم والأنشطة الحياتية، ويجري الآن اتخاذ الإجراءات اللازمة لربط المكتبة الصوفية بالمكتبات الكبرى محلياً وعالمياً وربطها بشبكة المعلومات على الإنترنت، وذلك لكي تكون المكتبة الصوفية هي المرجع الأساسي السليم للتصوف الإسلامي، وتاريخه، وتراثه ورجاله، وآثاره وأهدافه، والعناية بتنقيته مما يخالف الكتاب والسنة، ولا يتفق مع أهداف ومقاصد الإسلام الدينية والدنيوية.

ويعد هذا عملاً جديداً فريداً، بل يعد من أخلد الأعمال، رغم قلة الموارد المالية إلا أن الطريقة المحمدية تبذل قصارى جهدها لاستكمال خدمات هذه المكتبة، كما تسعى الطريقة المحمدية إلى تحويلها لكي تصبح مكتبة صوفية جامعة، بل تصبح معجماً كبيراً لدائرة معارف كبيرة، أو لتكوين الموسوعة الصوفية الكبيرة التي تأمل الطريقة في إنشائها.

14- إنشاء دار الإمام الرائد لإحياء التراث:

قامت الطريقة المحمدية ومعها العشيرة المحمدية بإنشاء دار الإمام الرائد لإحياء التراث الصوفي؛ وذلك بغرض إحياء التراث الصوفي المطبوع والمخطوط ونحوه، والتمهيد له، والتعليق عليه، وتحقيق مسائله، وشرح مبهماته، وذلك في مواجهة الفكر المتطرف ضد التصوف أو المغالى فيه؛ لدفع حماقة المغالين والجاهلين، ولؤم المبطلين، وتصحيح الأفكار الشاردة، ونشر الدعوة الصحيحة، والعمل على تلخيص هذا التراث، لتيسير نشره أو إصداره في أجزاء شبه دورية أو غير ذلك، كما يقوم رجال العشيرة بجمع تراث الإمام الرائد وتصنيفه، بما فيه التراث المطبوع والمخطوط والمسموع والمرئي.

ولا شك أن هذا يسهم في الدور التربوي، ويحقق الأنشطة التربوية للطريقة المحمدية، لأن طباعة هذا التراث ونشره، يسهم في غرس قيم التصوف السمحة الساعية إلى تهذيب أخلاق الناس، ودفعهم إلى العمل وزيادة الإنتاج، وحسن التفاعل مع الناس جميعاً على المستوى المحلي أو العالمي، كما يدعوهم إلى القراءة والبحث وتحقيق مبدأ استخلاف الله للإنسان في الأرض، واستعمار الإنسان لهذه الأرض.

15- تقديم الوصايا والنصائح للمريدين:

الوصية هي جملة من النصائح، يقدمها إنسان ذو خبرة في الحياة إلى من هو أقل منه خبرة في هذه الحياة، وكانت هذه الوسيلة إحدى الأنشطة التربوية التي اتبعها الشيخ محمد زكي إبراهيم، في التعامل مع أتباع طريقته ومريديه، وليس أدل على ذلك من كتابه المسمى (يا ولدي) أو (الخطاب)، وهو

"خطاب صوفي جامع، كتبه شيخ الطريقة الإمام الرائد إلى أحد كرام مريديه، احتوى على درر من بديع البيان، وغرر من فيض الرحمن، وقد كان له دوي بالغ في الأوساط الصوفية وغيرها".

والكتاب يقع في أكثر من مائتي صفحة من القطع المتوسط وهو جملة من الوصايا والنصائح التي قدمها الشيخ لأحد أتباعه، تناولت مفهوم التصوف الحق وأهمية، وضرورة اتخاذ شيخ للإنسان في طريق الوصول إلى الله تعالى، وضرورة العمل لتعمير الأرض، كما تناولت ردوداً على بعض الطاعنين على التصوف الإسلامي، وتناولت أيضاً موقف الطريقة المحمدية من بعض الهيئات الإسلامية الأخرى وبعض الطرق الأخرى، بل موقفها من غير المسلمين، وتناولت كذلك أهم القواعد الصوفية التي تعتمد عليها الطريقة المحمدية، وقد احتوى الكتب جملة من أشعار الشيخ التي تشتمل على نصائح غالية من الشيخ لأبنائه ومريديه.

ومما جاء بهذا الكتاب من هذه الوصايا قول الشيخ: "يا ولدي: التصوف دعوة الحب الذي فقده الناس، ففقدوا الحقيقة الإنسانية في الأجساد البشرية، والحب هو الخصيصة المميزة للسالك الصوفي، فهو يحب الله، وبالتالي يحب خلق الله، فهو يحبهم بحب ربهم، وهو بحكم حبه لهم يسعى في خيرهم وبرهم، وتصور يا ولدي مجتمعاً يحكمه الحب والسلام والتسامح والتيسير واللين والتعبد والتعاطف والشرف والإيثار وتحري معالي الأمور؛ كيف يكون أفراده؟ وكيف تمضي حضارته؟ إن العنف والقسوة والقهر والتعالي والخبث والتغالي والبذاءة والتعالم والاندفاع وأذى الناس؛ أقذار لا يعرفها التصوف".

ويقول في موضع آخر في مجال الرد على الحملة المسعورة التي يقودها بعض خصوم التصوف: "يا ولدي: دع نعالك في صمتها وتواضعها تسحق ما يعترضها من أقذار، وما يدنو منها من هوام الحشرات، وإياك أن تشتغل بما تحت نعالك من أوضار عما هو أمامك من أسرار وأنوار، وتنزه عن أن تعالج الميتة والدم ولحم الخنزير، وعندما يتورم الشيء التافه وينفتح كما تفعل بعض الديدان في مواجهة الخطر؛ فاعلم أنه قد هلك بالفعل، وتذكر إن شئت انتفاخ بالونات الأطفال: دعها فإنها ستنفجر".

هذه بعض ما تقوم به الطريقة المحمدية، يلمسه الباحث نفسه وبعيني رأسه، حيث يرى الباحث ذلك واضحاً جلياً في بعض فروع الطريقة المنتشرة، التي يزورها ويلم بها، وهي تؤكد أن للطريقة المحمدية دوراً لا يخفى على ذي عين، والآمال معقودة على مدد الله تعالى وفيضه، حيث إن الظروف والتغيرات التي تمر بها بلادنا تفرض على هذه الطريقة أن تقوم بدور عظيم في خدمة

المجتمع، يؤهلها لذلك تاريخها الطويل في هذا المضمار، ويمكنها من ذلك إخلاص القائمين على أمرها.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة تناول الباحث التعريف بالطريقة المحمدية الشاذلية كنموذج للطرق الصوفية الموجودة في مصر في العصر الحاضر؛ حيث تناول تاريخ وجودها ونسبتها وعلاقتها بالعشيرة المحمدية، ثم تناول بعد ذلك أهداف هذه الطريقة، وقواعدها الصوفية المؤسسة عليها، وعهودها الصوفية، ثم تناول بعد ذلك الخصائص المميزة لها عن غيرها من الطرق الصوفية الأخرى.

تناول الباحث بعد ذلك أهم الجهود التربوية التي تقوم بها هذه الطريقة، وتبين له أن هذه الطريقة تمثل بصورة كبيرة الجانب التربوي الصوفي في أبهى صورة له، حيث إنها تهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، ويبدو ذلك من تعدد جهودها التربوية.

قائمة المراجع والمصادر

(1) القرآن الكريم.

(2) زكريا سليمان بيومي: الصوفية ولعبة السياسة في مصر الحديثة والمعاصرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، 2009م.

(3) حسن محمد الشرقاوي: ألفاظ الصوفية ومعانيها، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(4) عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، الطبعة الخامسة، مؤسسة الشام للطباعة والتجليد، دمشق، 1993م.

(5) محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون: مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

(6) جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978م.

(7) محمد زكي إبراهيم: الدليل إلى الطريقة المحمدية، المشيخة العامة للطريقة المحمدية الشاذلية، القاهرة، 1405هـ، 1985م.

(8) محمد زكي إبراهيم: معلومات أساسية عن الطريقة المحمدية الشاذلية، في مجلة: المسلم، العدد 12، السنة الثانية والأربعون، ذو الحجة 1418هـ، أبريل 1998م.

(9) محمد زكي إبراهيم: أصول الوصول، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2005م، الجزء الأول.

(10)السيد إبراهيم خليل: المرجع، مطبوعات الإخوان الشاذلية، مطبعة علم الدين، باب الخلق، القاهرة، الطبعة الثانية، د. ت، ظهر صفحة الغلاف الأمامي.

(11)محيي الدين حسين يوسف الإسنوي: محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية، جهوده ومنهجه في الإصلاح، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، 1434هـ، 2013م.

(12)إيهاب عبد العزيز الكومي: الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم وجهوده في التصوف، رسالة دكتوراه، منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، 1428هـ، 2007م.

(13)محمد زكي إبراهيم: طريقتنا الطريقة المحمدية الشاذلية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1422هـ/ 2001م.

(14)محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الثاني، 1426هـ.

(15)محمد زكي إبراهيم: مفتاح القرب، المشيخة العامة للطريقة المحمدية الشاذلية السلفية الشرعية، الطبعة التاسعة، 1431هـ، 2012م.

(16)محمد زكي إبراهيم: معارف إجمالية عن التصوف، في مجلة: المسلم، السنة 49، العدد 12، جمادى الآخرة 1426هـ يوليو وأغسطس 2005م.

(17)محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الأول، 1424هـ.

(18)محمد زكي إبراهيم: البداية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة السادسة، 1418هـ، 1998م.

(19)محمود صديق سلطان: فلسفة التربية في التصوف الإسلامي، مدخل للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، رسالة دكتوراه، منشورة، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، فرع أسيوط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2012م.

(20)محمد زكي إبراهيم: الفروع الخلافية، تقديم وتعليق: محيي الدين حسين يوسف الإسنوي، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، 1416هـ، 1995م.

(21)محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، مطبوعات وسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الرابع، 1424هـ.

(22)العشيرة المحمدية: قانون العشيرة الإداري، سلسلة رسائل الدعوة المحمدية، القاهرة، 1379هـ/ 1960م.

(23)محمد زكي إبراهيم: كلمة الرائد، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الجزء الخامس، 1424هـ.

(24)الإمام عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق: محمد خير طعمه حلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ، 2006م.

(25)أحمد بن أحمد بن محمد زروق: قواعد التصوف، صححه: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م.

(26)أبو النجيب ضياء الدين السهروردي: آداب المريدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.

(27)محمد زكي إبراهيم: يا ولدي مختارات في معاني التصوف وقواعد الدعوة إلى الله، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، 1433هـ، 2012م.

(28)محمد زكي إبراهيم: الإفهام والإفحام أو قضايا الوسيلة والقبور، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1425هـ، 2004م.

(29)محمد زكي إبراهيم: معارف إجمالية عن التصوف، في مجلة: المسلم، السنة 56، العدد السابع، نرجب 1434هـ مايو ويونيو 2013م.

(30)محمد زكي إبراهيم: قاعدة أساسية تهم المسلمين جميعاً الوسيلة إلى الله شيء غير الوساطة، في مجلة: المسلم، السنة 9، العدد الحادي عشر، جمادى الأولى 1426هـ يوليو 2005م.

(31)عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، د.ت.

(32)أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري: كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، الجزء الأول، 1424هـ، 2004م.

(33)حامد طاهر: معالم التصوف الإسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.

(34)الإمام أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطبع والنشر، القاهرة، 1989م.

(35)الإمام أبو نصر السراج الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ 2001م.

(36)جوزيف ويليام مكفرسون: الموالد في مصر، ترجمة وتحقيق: عبد الفتاح بكر، طبعة مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.

(37)نيكولاس بيخمان: الموالد والتصوف في مصر، ترجمة، رؤوف سعد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م.

(38)سعيد عاشور: السيد أحمد البدوي: شيخ وطريقة، سلسلة أعلام العرب، دار الكتاب العربي، وزارة الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1967م.

(39)أحمد كال الجزار: سادتنا الأولياء وموقفهم من أدعياء التصوف، في مجلة: المسلم، السنة 45، العددان 9، 10، عدد الربعين 1422هـ مايو ويونيو 2001م.

(40)الحسيني أبو فرحة: لماذا يهاجمون التصوف، في مجلة: المسلم، السنة 44، العددان 11، 12، عدد الجمادين 1421هـ أغسطس وسبتمبر 2000م.

(41)محمد زكي إبراهيم: أسئلة وأجوبة مجملة في التصوف، في مجلة: المسلم، السنة 46، العددان 1، 2، رجب وشعبان، 1422هـ أكتوبر ونوفمبر 2001م.

(42)محمد عصام الدين زكي: كلمة ذات معنى، في مجلة: المسلم، السنة 46، العددان: 1، 2، رجب وشعبان، 1422هـ أكتوبر ونوفمبر 2001م.

(43)محمد زكي إبراهيم: مراقد أهل البيت في القاهرة، تقديم وتعليق: محيي الدين حسين يوسف الإسنوي، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة السادسة، 1424هـ 2003م.

(44)محمد عصام الدين زكي: منحة الكنية للمحمديين، في مجلة: المسلم، السنة 47، العددان: 5، 6، عددا الجمادين 1423هـ يوليو أغسطس 2002م.

(45)أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ، 1987م، المجلد الرابع.

(46)عبد الحليم محمود: أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، دار المعارف، القاهرة، د ت.

(47)عبد الحفيظ فرغلي: التصوف صانع للمثالية الخلقية، في: مجلة التصوف الإسلامي، المجلس الأعلى للطرق الصوفية، القاهرة، العدد الثاني عشر، السنة الثامنة عشرة، ذو الحجة 1416هـ مايو 1996م.

(48)سلسلة رسائل الدعوة المحمدية: دعوة العشيرة المحمدية، الحلقة الأولى، دار العشيرة المحمدية، القاهرة، 1373هـ 1954م.

(49)صلاح السيد عبده رمضان: التربية الإسلامية بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين، دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، فرع بنها، 1415هـ 1994م.

(50)محمد زكي إبراهيم: معالم المجتمع النسائي في الإسلام، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1422هـ/2001م.

(51)الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت): جهود العشيرة المحمدية في الإصلاح، موقع العشيرة المحمدية، قراءة في 2014/7/28م.

(52)محمد مهنا: افتتاحية العدد الأول، في: مجلة البحوث والدراسات الصوفية، المركز الصوفي العلمي، العشيرة المحمدية، القاهرة، السنة الأولى، العدد الأول، جمادى الآخرة 1424هـ أغسطس 2003م.